مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : نيسان سنة ١٩٢٨ م الموافق شوال وذي القعدة سنة ١٣٤٦ هـ

محمد والمرأة (١)

مواضيع الخطابة كثيرة . والحفلات الخطابية ايضاً كثيرة . ولكن الحفلة الممتازة بسيداتها وساداتها ، ينبغي ان تكون خطبتها ممتازة بموضوعها ولطيف اشاراتها .

فمن لي ياسادتي بموضوع ممتاز كامتياز حفلتكم هذه ؟

حقاً ان مراعاة التناسب بين الموضوع والحفلة هو موضع الصعوبة في الامر .

فمرت يوماً كلمة «النسء» أمام فتاة متعلمة وقلت ان معناها الطرد والابعاد والتأخير . ومنه سميت «المنسأة» — وهي العصا — « منسأة » لان الراعي يطرد بها غنمه .

فاحتدمت الفتاة غيظاً وقالت :

إذن سمى العرب النساء نساء لانهن مبعدات مطرودات ؟ !!

فعجبت من استنتاجها ، وتعوذت بالله من لجاجها ، واجبتها على اعتراضها بما ارضاها في الجملة .

* * *

ولما دعيت الى الخطابة في هذه الحفلة رأيت الفتاة المذكورة يوماً مهتمة بمطالعة كتاب . فسألتها ما هذا الكتاب ؟

قالت الزبيدي .

والزبيدي ايها السادة كتاب ديني اختصر فيه مؤلفه احاديث البخاري كلها .

---

(١) خطاب ألقاه الاستاذ المغربي في حفلة جمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت مساء الاربعاء ١١ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فشجعتها على قراءته ، وأثنيت عليها لاختيارها هذا الكتاب للمطالعة ، بدل تلك الكتب التي تولع بها الفتيات عادة .

أكملت الفتاة مطالعة « الزبيدي » ولم تكد تلقيه من يدها حتى التفتت الى من حولها وقالت : « انني لم أجد في جميع الاحاديث التي قرأتها في هذا الكتاب ما يشعر بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتقر المرأة ، بل على العكس رأيته يكرمها و يسوي بينها وبين الرجال في التكاليف والاحكام فمن اين جاءت تهمة شارعنا الاسلامي بانه يحقر المرأة او يعلم بالحط من كرامتها ؟ !! » .

فلا اكتمكم ايها السادة انسروري باستنتاجها هذه المرة أتساني اغتمامي باستنتاجها في المرة الاولى . ومسرت بالاكثر مذ ظفرت بموضوع الخطاب الذي أرغبه لحفلتكم هذه ، وناديت : وجدته وجدته . كما نادى أرخميدس : وجدتها وجدتها .

نعم وجدت الموضوع أيها السادة لكنني لم أجد الوقت اللازم لتوفيته حقه ، لان جمعية التهذيب — والشكر لها على كل حال — لم تعطني وقتاً للكلام في حفلة ، وانما أعطتني وقتاً للمخابرة في تلفون . فاعذروني اذا أسرعت او اذا اختصرت .

* * *

كان العرب بمقتضى طبيعة بلادهم ، وتركيب امزجتهم يرون في المرأة هناءهم وراحة نفوسهم ، فأحبوها وكادوا يعبدونها . كما انهم بمقتضى طبيعة اجتماعهم ونظام الغارات والسبي المتعارف بينهم ، كانوا يرون في المرأة سبباً لمذآتهم ، ولحوق العار بهم . فتشاءموا بها الى حد ان وأدوها .

فكان العرب بين جاذبين : جاذب من طبيعة اقليمهم وأمزجتهم يجذبهم الى المرأة ، وجاذب من نظام اجتماعهم وحروبهم يبعدهم عنها .

وقد ولد محمد (ص) في جزيرة العرب وأهلها على ماوصفنا من الحالتين : فأقر الحالة الاولى حالة حب المرأة ، و باركها هاتفاً . « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

وقبح الحالة الثانية — حالة التشاؤم بالمرأة فرفع قدرها وأرجعها الى عرش سيادتها ونادي قائلا : المرأة سيدة بيتها . المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فالغرض من نبوة محمد إذن ليس توحيد الله فقط بل والتبشير بالمرأة والاحتفال بارجاعها الى عرش سيادتها .

قال عمر بن الخطاب : (والله كنا في الجاهلية ما نعد النساء شيئاً ، حتى انزل الله فيهن ما أنزل . وقسم لهن ما قسم) .

* * *

ومن تتبع سيرة النبي (ص) في أدوار حياته أدرك الاسباب التي جعلت نفسه الشريفة مستعدة لقبول هذا الوحي النسائي . مات ابوه ثم أمه وعمره بضع سنوات فتولت حضانته فتاة حبشية اسمها (بركة) وتكنى (ام ايمن) . وقد عكفت هذه الفتاة على تربيته وخدمته حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره . فكان قرير العين بما كان يراه في حاضنته هذه من العطف والعناية .

وشعر باول وظيفة من وظائف المرأة في هذا الوجود : المرأة من حيث هي امرأة ، حتى ولو كانت حبشية ومملوكة ، ولم تنتم الى عرق في العرب . اوشرف في النسب .

ثم شاءت العناية الالهية ان تنقل محمداً (ص) الى العيش . بقرب أشرف امرأة في قريش . فتزوج (السيدة خديجة بنت خويلد) .

شيء جديد في حياة محمد : انتقل الى طور آخر من معرفة المرأة واختبار وظائفها . ولم يعد ذلك الشاب التي تخدمه حاضنة متواضعة فيكرمها . بل الشاب الذي تحبه امرأة شريفة ويحبها . هو شاب في الخامسة والعشرين ، وهي كهلة في الاربعين . كأن العناية الالهية رأت انه ما زال في شبابه محتاجاً الى عطف امرأة ذات سن وتجربة وثروة فيسرت له الاقتران بخديجة .

مات زوجها الاول فخطبها أشراف قريش فامتنعت وفضلت الاستقلال بنفسها . والعكوف على اعمال تجارتها . وكانت تبحث عن ثقة من الرجال تكل اليه اشغالها . فمالبثت ان اهتدت الى محمد . فلم تره أميناً على مالها فقط ، بل وعلى قلبها ايضاً ، فأودعته ذلك جميعه .

كل من رأى محمد (ص) وسمع كلامه شعر بانه سيكون له شأن في نهضة العرب . وانقاذهم من جاهليتهم . ولم يكن هذا ليخفى على خديجة . فكانت تعتقد ان خطيبها سيكون من عظماء الرجال ومربي الامم والأجيال ، فزادت ولوعاً به وحرصاً على محبته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال انس : كان النبي (ص) عند عمه ابي طالب . فاستأذنه في ان يتوجه الى خطيبته خديجة فأذن له ، وبعث في اثره جارية له تسمى نبعة وقال لها : انظري ما تقول خديجة لابن اخي محمد .

قالت نبعة : فرأيت عجباً : ما هو الا ان سمعت به خديجة فخرجت الى الباب فأخذت بيده فضمتها الى صدرها ونحرها . ثم قالت له : بابي وأمي لا أفعل هذا الشيء (الذي نهيتني عنه) ولكنني ارجو ان تكون انت النبي الذي سيبعث فان تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادع الاله الذي يبعثك ان يبعثك لي .

قالت نبعة : فأجابت محمد : والله لئن كنت انا هو لقد اصطنعت عندي ما لا انساه ابداً . وان يكن غيري فان الآله الذي تصنعين هذا لاجله لا يضيعك ابداً .

لم يكن محمد ذا حظٍ من مال ونشب . ولم تكن اسباب رغد العيش متوفرة لديه في ماضي حياته وقد توفرت لديه الآن مذ تزوج بخديجة .

فما هو صانع ؟

أيتخذ من مال زوجته ونعمتها وسيلة الى اللهو والدعة والنعيم ؟

كلا . وانما اتخذ محمد الشاب من مال زوجته وسيلة الى فراغ قلبه من هم العائلة . كما اتخذ من حبها وطاعتها له وسيلة الى التفرغ لعبادة خالقه ، والى القيام بالعمل العظيم الذي يشغل باله .

ها هو محمد قد اعتزل الناس ، والتجأ الى غارٍ في جبل حراء . يناجي ربه ، و يسأله ان يهدي شعبه .

وها هي خديجة امرأته تشجعه وتبث الثقة والصبر والثبات في نفسه .

ها هي نهيء له الزاد ليتقوت به في اثناء عزلته الطويلة .

ها هي مجدلية محمد في سفح الجبل مشرئبة الى الغار الذي اعتزل فيه زوجها ، وقلبها مفعم بالرجاء والايمان والثقة بالمستقبل . وهكذا ترى النبوة ولدت على يد المرأة « خديجة » بينما لم يشهد ولادتها احد من الرجال لا ابوبكر ولا عمر ، ولم يسمع بذكرها علي ولا معاوية . ثم ماتت خديجة ، فشاء ابو بكر اكبر صحابة محمد (صلى الله عليه وسلم) ان يتشرف بمصاهرته فزوجه ابنته « عائشة » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لم تكن عائشة زوجة فقط بل وتلميذة ايضاً .

وهذا هو الطور الثالث من أطوار محمد مع المرأة : بركة الحبشية تسهر عليه في طفولته . وخديجة الكبرى تحوطه وتشجعه في شبيبته . وعائشة الصديقة تسره وتكون تلميذة له في كهولته .

اختبر محمد (ص) المرأة في جميع ادوار حياته وامتزجت عاطفته بعاطفتها . طفلاً وشاباً وكهلاً . وكان لها من التأثير في حياته ما جعله يرفع منزلتها ويعلن حريتها ويسوي بينها وبين الرجال .

ومن أعجب المصادفات ان ينعقد مجمع « ماكون » في زمن محمد اي في سنة ٥٨٦ للميلاد ويبحث في هل المرأة انسان ؟ ثم قرر انها انسان لكنها انما خلقت لخدمة الرجل .

ولم يكد يصدر قراره هذا في فرنسا حتى نقضه محمد في الحجاز ورفع صوته قائلا : « انما النساء شقائق الرجال » ، بل قال للرجال : ألستم حريصين على دخول الجنة ؟ هذه الجنة التي تحرصون عليها هي « تحت أقدام الامهات » . وكل امرأة أم ، ان لم يكن بالفعل فبالقوة . ولم يقل احد في تكريم المرأة مثل هذا القول الذي قاله محمد . واذا كان قوم يحسبون المرأة شيطاناً فان محمد كان يراها تعويذة من الشيطان .

سأل فتى من صحابته وهو « معاذ بن جبل » :

— ألك زوجة يا معاذ ؟

— كلا !

— انت إذن من إخوان الشياطين . (يعني وكان الواجب عليك ان تتعوذ من الشياطين بامرأة تتزوجها) .

وقد أراد محمد (ص) بتكريم المرأة ، ورفع شأنها في عيون الرجال على هذه الصورة إفهامهم ان نهضته الجديدة انما تقوم على سواعد الجنسين معاً ، الرجال والنساء ، شأن النهضات العالمية الكبرى . ولما رأى النساء العربيات هذه النهضة التي نهضها بهن محمد اغتبطن بها ، ونشطن الى الازدياد منها ، حتى انهن لما رأين انفسهن مغبونات في بعض حقوقهن عقدن اجتماعاً منهن ، وقررن فيه ان يرفعوا الى النبي (ص) مطالبهن . فرفعنها بواسطة مندوب منهن واسم مندوبهن « اسماء بنت يزيد » الانصارية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جاءت اسماء النبي (ص) وقالت له : « انى رسول من ورائي من جماعة النساء وكلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي » .

ثم عرضت على النبي مطالب النساء اللواتي ارسلنها فأجابها النبي عليها بما ارضاها وأعلن مسروره بحديثها وجرأتها والتفت الى من حوله من الصحابة وقال :

« هل سمعتم مقالة امرأة احسن سؤالاً عن دينها من هذه المرأة ؟ » .

وكفى بقوله هذا تنشيطاً للمرأة وتنويهاً بقدرها .

* * *

وكان النبي (ص) يحب ان لا يُستبد على المرأة في امر زواجها ، فهو يعطيها الحق في ان تتزوج من تختاره ، ويطيب لها العيش معه بشرط ان لا يحط هذا الزواج من كرامة عشيرتها . هذه الفتاة (بريرة) كانت مملوكة للسيدة « عائشة » فأعتقتها . وكانت (اي بريرة) متزوجة برجل اسمه (مغيث) فلما ملكت حريتها ملكت حق الاختيار في ان تبقى زوجة لمغيث او لا . ويظهر ان (بريرة) ما كانت في راحة من العيش مع (مغيث) فأعلنت انها لم تعد تريده زوجاً لها . فصعب الامر على مغيث وكان يحبها حباً جماً فاسترضاها فلم ترض . ها هي (بريرة) تمشي في سكك المدينة ، ومغيث المسكين يمشي وراءها ودموعه تتحدر على وجنتيه ، والناس ينظرون اليه . وقد أخذتهم الشفقة عليه ، و بريرة لاترق ولاترحم . ارحميه يا بريرة ، ارثي لحاله ، اعطفي عليه .

— كلا لا أريده .

اخبروا النبي (ص) بخبر بريرة ومغيث فدعاها اليه وكلمها بشأنه . فقالت له :

— أتأمرني امراً يا رسول الله ؟

— لا وانما انا اشفع .

— لا حاجة لي فيه .

فلم يعارضها النبي ولم يتدخل في استعمال حريتها مع انها عتيقة زوجته ، وانما التفت الى عمه العباس وقال له : « ياعباس ألا تعجب من حب مغيث لبريرة ومن بغض بريرة لمغيث » ؟

وكما كان النبي (ص) يعترف للمرأة بحقها في الاستقلال بمصالحها الخاصة كان يرى لها الحق ايضاً في ان تشارك الرجال في خدمة المصالح العامة . واهم تلك المصالح في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك العهد مسألة تأييد الدعوة الاسلامية ومقاومة الذين يعارضونها . فكان للمرأة المساعي الحسنة في هذا السبيل . وقد توفرت طائفة من نساء الصحابة على مرافقة الجيش وخدمة المحاربين :

قالت ام عطية : كنت أصنع للمحاربين طعامهم واحفظ لهم خيامهم وأداوي جرحاهم وأقوم على مرضاهم .

وقالت ام سنان : لما اراد النبي الذهاب الى خيبر جئته فقلت له :

— أأخرج معك في سفرك هذا اخرز السقاء وأداوي المريض والجريح وأحافظ على الرحال

— اخرجي على بركة الله فان لك صواحب سألنني الخروج معي فأذنت لهن . فكوني مع زوجتي أم سلمة .

اما أم كبشة فلما استأذنته في الخروج معه قال لها لا : فقالت له :

— اني أداوي الجريح واقوم على المريض .

— اجلسي لا يتحدث الناس ان محمداً يغزو بامرأة .

فانظروا ايها السادة كيف ان النبي (ص) علل عدم اخذها معه بالخوف ان يشيع بين القبائل ان محمداً لا رجال عنده ولا ابطال . فهو يحارب بربات الحجال . ولم يقل لها اجلسي فليس الخروج مع الجنود من شأنك .

وقال انس : إنني في وقعة أحد رأيت زوجة النبي عائشة ومعها أمي (ام سليم) مشمرتين اري خلاخيلها وهما تقفزان قفزاً وعلى ظهورهما قرب الماء تفرغانها في أفواه العطاش ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيآن فتفرغانها في افواههم .

وهنا امرأة أخرى هي « رفيدة » الاسلمية ما كانت ترافق الجيش وانما نصبت خيمة في مسجد النبي (ص) وجعلت تداوي فيها الجرحى وتعالج المرضى .

ولما جرح سيد الانصار (سعد بن معاذ) في وقعة الخندق قال لهم النبي (ص) اجعلوه في خيمة رفيدة . هذه وظيفة (رفيدة) في زمن الحرب اما في زمن السلم فكانت تأتي بالعجزة والبائسين الى خيمتها فتخدمهم وتخفف آلامهم . فنعمت الخيمة خيمة « رفيدة » كانت مستشفى عسكرياً وقت الحرب . وملجأ للعجزة ايام السلم .

وجاء رجل من المشركين المحاربين الى السيدة (ام هانئ) واستجار بها فأجارته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فعارضها بعض الصحابة وأراد ان لا يعتبر جوارها فاغتاظت منه وشكته الى النبي فقال لها « قد اجرنا من اجرتِ يا ام هاني » . وهذا من ام هاني مداخلة في امور سياسية عسكرية . وقد رأى النبي (ص) ان لها الحق فيما فعلت . ولم يقل لها : انه ليس من شأنكِ فعليكِ بالطبخ والزينة وتربية الاولاد فقط .

* * *

ولكن مع هذا ايتها السيدات كان محمد يرى ان الزينة وادارة المنزل هما اكبر وظائف المرأة . فكما كان يباهي بالمرأة القرشية التي تحفظ مال زوجها وتعكف على تربية اولادها — كان في الوقت نفسه يعجبه ان لا ننسى المرأة انوثتها ، ولا تهجر زينتها ، ولا تعطل بحال من الاحوال امومتها ، حتى انه كان يكره ان لا يرى اثر الخضاب في كفي المرأة (وكان الخضاب اجمل زينة للنساء في العصور الماضية) .

قالت ام سنان بايعت النبي على الاسلام فنظر الى يدي وليس فيها اثر للخضاب فقال : « ما على احداكن ان تغير اظفارها وتعصب يدها ولو بسير » فهو يحضها على الخضاب وان يكون في معصمها سوار . ولو سيراً من جلد .

عرف محمد (ص) نفسية المرأة وغرائزها الخاصة بجنسها . فكان يعاملها بمقتضى ما عرفه منها فيكثر من تأنيسها والرفق بها ، والإِنة القول لها . وان كثيراً مما كان يعامل به نساءه نراه اليوم غير لائق ولا مناسب . من ذلك انه كان يخرجهن معه في اسفاره . وكانت احداهن اذا ارادت الركوب بسط لها ركبته لتدوس عليها الى هودجها . واذا كان معها في الفلاة سابقها اشواطاً لاجل الرياضة وادخال المسرة عليها . وادخل الحبشة يوم عيد الى المسجد لترى لعبهم بالحراب كما يلعبون اليوم بالسيف والترس .

وكان للنبي (ص) جار من بلاد فارس فدعا هذا الفارسي النبي الى طعام ولم يدع معه زوجته السيدة عائشة . فلم يقبل النبي الدعوة ما لم تكن معه عائشة . فدعاها .

وكأن النبي يرى ان ترك دعوتها إهانة لها ولذا رفض الدعوة مالم تدع هي ايضاً . ونهى الرجل عن ضرب زوجته ونبهه الى ان ضربها لا يلائم طبيعة ما بينهما من العلاقة الزوجية : يضربها العصر ثم لا يلبث في العشي ان يتملقها و يلح في استرضائها فما اغناه عن الحالتين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما زالت الشرائع الانكليزية الى عهد قريب تجيز للزوج ان يضرب زوجته لكن بعصا لا تزيد ثخانتها على الاصبع .

وكان النبي (ص) يكرم حاضنته (بركة الحبشية) و يقول للصحابة هذه أمي بعد أمي . وكان يمازحها احياناً .

طلبت منه جملاً تركبه فوعدها بان يهدي اليهـا ابن الناقة . فصاحت : وما ذا اصنع بابن الناقة هل يطيق ان يحملني ؟ أريد جملاً .

فضحك الصحابة وقالوا لها و يحك يا بركة وهل الجمل الا ابن الناقة .

ورأى النبي (ص) في صبيحة يوم من الايام نساء مقبلات من عرس ومعهن صبيانهن فوقف لهن وهتف قائلاً « اللهم انتم من احب الناس اليّ . اللهم انتم من احب الناس اليّ » .

نعم ايهـا السادة هو يحب النساء ! . لانهن يربين الرجال كما ربته بركة في يتمه و يساعدن الرجال في النهضات الكبرى كما ساعدته خديجة في نهضته . و ينشرن الثقافة والعلم عن الرجال كما فعلت عائشة مذ حملت عنه ثقافته وبلغت أمته سنن شريعته .

تبشير محمد (ص) بالمرأة وتحريره لها من عبوديتها القديمة لم يخف امره على العلماء من كتبة اوربا حتى غير المنصفين منهم .

فقد قال المستشرق «اندره سرفيه» في كتابه الذي سماه (الاسلام ونفسية المسلمين) مانصه :

يتحرى محمد (ص) الاسباب التي تجعل المرأة من حزبه ولا يتكلم عنهـا الا بكل لطف و يجتهد في ان يحسّن احوالها . وكان النساء والاولاد قبله لا يرثون . بل الاسوأ من ذلك ان الاقرب نسباً للميت هو الذي كان يرث نساء الميت في جملة مايرث من مال ورقيق . وعندما نهض محمد (ص) اعطى المرأة حق الارث واوجب كل ما كان حسناً في حقها » .

ثم قال : « ومن اراد التحقق من عناية محمد (ص) بالمرأة فليقرأ خطبته في مكة التي اوصى فيهـا بالنساء . فمحمد لا يجهل ان المرأة اذا كانت اسيرة في النهار فهي سيدة في الليل . وان نفوذها ابداً عظيم ؟ » .

هذا ما قاله « اندره سرفيه » وهو ، بالرغم من طعنه في محمد لم يتمالك عن التصريح بانه حرر المرأة . بل ان العالم الالماني دريسمان صرح بان اعطاء محمد المرأة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حريتها هو وحده السبب في نهوض العرب وقيام مدنيتهم . ولهذا لما عاد اتباعه فسلبوا المرأة هذه الحرية انحطوا واضمحلت مدنيتهم .

وقول (اندره سرفيه) « ان محمداً لا يجهل ان المرأة اسيرة في النهار » فيه لمز وتشنيع بالاسلام يحق لنا ان نعاتبه عليه :

لا نعلم ما هذه الامور التي جعلت « اندره سرفيه » واضرابه يلهجون بان المرأة المسلمة اسيرة او في حكم الاسير » .

أيريدون بتلك الامور يا ترى الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات وتنصيف الارث وتنصيف الشهادة ؟ .

لا يمكننا ان نتكلم على هذه الامور الخمسة او الكليات الخمس بالتطويل وذلك لضيق الوقت من جهة ولان هذه « الكليات » طال فيها الجدل بين المسلمين وغيرهم بحيث اصبح الحديث عنها مملاً . ومع هذا فسأقول فيها كلمات تلفونية .

* * *

اول هذه الامور (الحجاب) وكلني فيه ان البشر من يوم اخذوا هذا التطور الاجتماعي وجد فيهم طبقات ارستوقراطية يرون من مصلحتهم او تميزهم ان يحتجبوا او يقللوا مخالطة غيرهم من الطبقات . وهذا كما يفعل الملوك والملكات بل عظماء الناس ونساؤهم الى يومنا هذا .

ونبوة (محمد صلى الله عليه وسلم) ليست من الارستوقراطية في شيء . فلم يضرب بينه وبين عامة الناس حجاباً . فكانوا يدخلون بيته لتلقي العلم كما يدخل التلاميذ مدرسة اساتذتهم .

لكن بعض هؤلاء التلاميذ كانوا ثقلاء في حديثهم . ثقلاء في طول زياراتهم .

فأشار عمر على النبي (ص) بمنع الناس من دخول بيته ، فلم يوافقه النبي احتفاظاً بما نسميه اليوم (ديمقراطية) . وتجنباً للمظاهر الملوكية .

ثم اشتدت ثقالة الثقلاء فنزل الوحي بحجاب نساء النبي (ص) وعدم دخول الناس بيته اللهم الا في احوال خاصة . هذا هو المظهر الوحيد من مظاهر الارستوقراطية الذي اضطر اليه النبي محمد (ص) بسائق الحاجة الماسة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم اخذ المسلمون يقلدون نبيهم عملاً بقاعدة (الناس على دين ملوكهم) فحجبوا نساءهم حتى اصبحت كل امرأة مسلمة ملكة محجبة . وكل بيت لمسلم بلاطاً ملوكياً .

ولكن ما أسوأ مصير الامة التي ليس فيها رعايا عاملات . وانما كل نسائها ملكات محجبات !

فالحجاب الاسلامي ياسيداتي وسادتي انما هو اثر من آثار ارستوقراطية المرأة وملكيتها في الاسلام . وليس هو اثر من آثار احتقارها او عبوديتها كما يظنه بعض الاقوام .

* * *

انتهت كلمتي في الحجاب وأنتقل الى الكلمة الثانية في «توريث البنت نصف ارث اخيها»

هذا الحكم الشرعي الاسلامي يجيب عليه الشارع الانكليزي الذي لم يورث البنت بل حصر ثروة الاب في اكبر الابناء . وذلك لان البكر عميد الاسرة ، وحامل لقبها . والمحافظ على تراث مجدها .

وكذلك شأن الابناء الذكور بالنسبة الى الاسرة في نظر الشارع الاسلامي : فان الابناء لما كانوا هم الذين يخلفون اباهم في أسرته كانوا في حاجة الى المال اكثر من اخواتهم البنات اللواتي يندمجن في أسرة أخرى غير مكلفات فيها النفقة .

فالمسألة إذن ليست مسألة تفضيل رجل على امرأة وانما هي مسألة اجتماعية اقتصادية .

على انه قد ظهر اخيراً لمديري المعامل الصناعية ان متوسط قوة المرأة اقل من نصف متوسط قوة الرجل ومن اجل ذلك ضاعفوا أجرته .

* * *

والامر الثالث من الامور الخمسة « شهادة المرأة نصف شهادة الرجل » وكلمتي في الجواب عليه ان سر الشرع فيه ليس لكون محمد (ص) يعتقد في المرأة الحقارة او انها تكذب في شهادتها وانما هو يرى ان المرأة بعيدة عن معترك الاعمال التي يقوم بها الرجال والتي تكثر فيها الدسائس والمخادعات مما هي عليه من ضعف ثقتها بنفسها وقلة ضبطها وسرعة انخداعها . حتى انهم قد يخدعونها بقولهم لها يا حسناء . فما بالكم بغيرها من كلمات التمليق والثناء ؟ !

هذه هي نفسية المرأة التي تحققها محمد (ص) فرأى ان تتعزز عند تحمل الشهادة بواحدة من بنات جنسها فتذكر كل منهما صاحبتها وتتعاونان على التثبت من الامر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي تشهدان فيه . فتنصيف الشهادة إذن هو اثر من آثار اعتقاد السذاجة الملائكية في المرأة لا اعتقاد الحقارة او خراب الذمة فيها .

على ان محمد (صلى الله عليه وسلم) ميز المرأة على الرجل في بعض مواطن الشهادة : الرجل لا تقبل شهادته وحده اما هي فتقبل شهادتها وحدها في الامور الخاصة بالنساء كالنفاس وما شاكل ذلك . وكفى بهذا دلالة على ثقة الشارع بالمرأة واعتقاد سلامة وجدانها .

* * *

ومن الامور التي يشنع بها العالم المتمدن على محمد (صلى الله عليه وسلم) شريعة الطلاق ، لكن هذه الشناعة عادوا فشاركونا فيها بمقياس اوسع .

محمد يعلم اننا مهما تحرينا ان يكون الزوجان متلائمين في اخلاقهما وطباعهما لا بد ان يقع (سوء استعمال) في هذا التحري ، حتى يؤدي تباين الطباع بين الزوجين احياناً كثيرة الى فساد الحب الزوجي وتنغيص الهناء العائلي . فيضطر اذ ذاك الى التفرقة و كثيراً ما كانت هذه التفرقة في مصلحة الزوجة فتتخلص من زوجها الشرير .

ومع هذا فان محمداً يكره الطلاق . ويأمر بالصبر . ففي القرآن : (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً) .

فالوحي المحمدي كابر الرجل في حسه مراعاة للمرأة حتى قال للرجل : انك وان شعرت بكره لامرأتك مايدريك ان يكون في هذا الكره الخير فاصبر عليها إذن .

الى هذا الحد حض محمد (ص) على تجنب الطلاق . لكن اتباعه خالفوا ناموس شريعته فنزل بهم البلاء .

وهذا لا ترجع تبعته عليه . الا ترون ان النواميس الطبيعية نفسها كنواميس الصحة والمرض مثلاً يخالفها الناس فيحل بهم الشقاء . وليس الذنب في ذلك على الاطباء . ولا على العناية الالهية التي خلقت تلك النواميس . وانما الذنب على الذين خالفوها . قال شيشرون : (من كان غير سعيد فالذنب ذنبه) .

افرط المسلمون في الطلاق فطلقوا من دون قيد ولا شرط وفرط النصارى فلم يطلقوا حتى عند وجود الضرورة . ثم في آخر الامر احس الفريقان بالشقاء . فعاد المسلمون في تركيا الى تضييق دائرة الطلاق . وعاد النصاري في اميركا والمانيا وانكلترا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى توسيع تلك الدائرة وستكون النتيجة الاعتدال والتوسط ومراعاة الحكمة .
وهو ما اراده محمد في تشريع الطلاق .

* * *

وآخر الامور الخمسة التي يعيبون بها المسلمين « تعدد الزوجات » وكلني في هذا الموضوع تحتاج الى شيء من الجرأة في التصريح . ولكنني مع هذا سأعمل جهدي في العدول عنه الى الإشارة والتلميح .

واقول اولاً ان محمداً (ص) لم يخاطب بشرعه طبقة واحدة من مجموعة البشر كما خاطبها غيره من المشترعين وانما هو كان يخاطب الطبقات كلها اوالامم كلها . وفيهم أمة متوحشة . وأمة نصف متمدنة . وأمة متمدنة .

فمحمد (ص) في تعدد الزوجات يقول لكل أمة : خذي من شريعتي المرنة ماينا سب محيطك وحالة اجتماعك ، فاذا قالت طبقة من البشر انا لا أعدد قال لها محمد : تحسنين صنعاً ، لان التعدد في شريعتي مباح لا واجب . لكن هناك طائفة أخرى في إفريقية اوالصين مثلاً تضطرها حالة اجتماعها اوامزجة طباعها الى التعدد .

فمحمد اذا دعا هؤلاء الى دينه لا يقسر طباعهم على ما يريد . ولا يكلفهم ترك التعدد . خشية ان يدخل عليهم العنت والمشقة مادامو افي هذا الطور من اطوارهم الاجتماعية . ومن ثم اباح لهم التعدد ولاسيما اذا كان احدالزوجين عقيماً . او كثر عددالنساء بسبب اجتياح الحروب للرجال كما هو واقع اليوم في اوربا او لغير ذلك من الاسباب .

بل نعود فنقول : مالنا وللامم التي يبيح لها محمد (ص) التعدد بسائق من امزجتها او حالة اجتماعها .

هذه الامم المتمدنة نفسها ، تعدد بالفعل . وتنكر بالقول . وتسب الذين يعددون ! !

عرف محمد امزجة البشر . ودرس طبيعة رجولتهم درساً عميقاً ، فهو يكافح هذه الطبيعة وجهاً لوجه ويقول لاصحابها :

« ألستم بالفعل لاتصبرون على طعام واحد ؟ ألستم مدفوعين بسائق من طبيعتكم او أمزجتكم او اسباب أخرى الى ان تعرفوا امرأة ثانية غير امرأتكم الشرعية ؟ امحوا هذه الطبيعة من نفوسكم حتى امحوا انا التعدد من شريعتي . وماذا ينفع الانكار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

او تجدي المكابرة في هذه المسألة ؟ ان كنا لا نرى أليس لنا آذان تسمع ؟ هؤلاء الرجال الذين يريدون ان يعرفوا نساء غير زوجاتهم الشرعيات لا يقول لهم محمد اعرفوهن بالحرام . واحشروا سلالتكم الى ملاجيء اللقطا والايتام . بل يقول لهم : اذا كنتم ولا بد فاعلين . فاعرفوا المرأة الثانية عن طريق تسامح الدين . اعرفوها عن يد الشيخ والقسيس . ولا تعرفوها عن يد الشيطان او ابليس .

فإباحة الزوجة الثانية في شرع محمد (ص) إذن انما هو سد لحاجة الطبيعة البشرية المتمردة ، التي لا تقاوم في بعض الاشخاص . على ان كل خطر على العائلة نتوقعه من وراء التعدد ينبغي ان نتوقع مثله من وراء اتخاذ الخلائل .

فالعائلة إذن معرضة للخطر في الاوساط غير الاسلامية . كما هي معرضة للخطر في الاوساط الاسلامية .

وقد بلغنا لهذا العهد ان المشترعين في اوربا اخذوا يفكرون في وضع قانون للتعدد السري يضيق دائرة شره . و ينقذ العائلات من الشقاء الذي يلحقها بسببه .

* * *

هذا هو ايتها السيدات والسادة ما أردت ان اقوله في موضوع «محمد (ص) والمرأة» .

وقد تحققتم منه ان محمداً (ص) انما جاء للتبشير بالمرأة ومنحها حريتها . وان الطلاق وبقية الامور الخمسة لا تشوه تلك الحرية بحال .

ولكن اذا كان محمد (ص) يريد للمرأة ان تكون حرة بالمعنى الحقوقي . فهو في مقابل ذلك يريد منها ان تكون حرة بالمعنى الاخلاقي .

فالحرة غير الحرة . تجعل الحياة مرة .

اما الحرة الحرة ، فهي التي تكون للعين قرة ، وفي جيد المحافل درة ، وفي جبين وطنها غرة .

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابو حيان التوحيدي

- ٢ -

نموذج من كتاب المحاضرات

اقتبس ياقوت في ترجمة ابي سعيد السيرافي « شيخ الدهر وقريع العصر العديم المثل المفقود الشكل » شيخ ابي حيان — المناظرة البديعة التي جرت بين ابي بشر متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين ابي سعيد السيرافي نأخذ بعض فقراتها . قال ابوحيان : ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، بين ابي سعيد السيرافي وابي بشر متى واختصرتها فقال لي : اكتب هذه المناظرة على التمام ، فان شيئاً يجري في ذلك المجلس النبيه ، وبين هذين الشيخين بحضرة اولئك الاعلام ، ينبغي ان يغتنم سماعه ، وتوعى فوائده ، ولا يتهاون بشيء منه . وكان في جملة من حضر ذاك المجلس الذي انعقد سنة عشرين وثلاثمائة : الخالدي وابن الاخشيد والكندي وابن ابي بشر وابن رباح وابن كعب وابو عمر وقدامة بن جعفر والزهري وعلي بن عيسى بن الجراح وابو فراس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طغج من مصر والمرزباني صاحب بني سامان . قال التوحيدي فقال لي الوزير : اين ابو سعيد من ابي علي ، واين علي بن عيسى منهما ، واين ابن المراغي ايضاً من الجماعة . وكذلك المرزباني وابن شاذان وابن الوراق وابن جيوبه فكان مني الجواب : ابو سعيد اجمع لشمل العلم ، وانظم لمذاهب العرب ، وادخل في كل باب ، واخرج عن كل طريق ، والزم للجادة الوسطى في الدين والخلق ، واروى للحديث ، واقضى في الأحكام ، وافقه في الفتوى . واحضر بركة على المختلفين واظهر اثراً في المقتبسة .

ومما جاء في هذه المناظرة في اللغات والترجمة : ان لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها في اسمائها وافعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها وتشديدها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها ووزنها وميلها وغير ذلك مما يطول ذكره ... فمن اين يجب ان نثق بشيء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ترجم لك على هذا الوصف بل انت الى ان تعرف اللغة العربية احوج منك الى تعرف المعاني اليونانية على ان المعاني لا تكون يونانيـة ولا هندية كما ان اللغات لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركيـة ... ومن فقرها قال ابو سيعد : فانت (اي متى) اذاً لست تدعونا الى علم المنطق بل الى تعلم اللغة اليونانية وانت لا تعرف لغة يونان ، فكيف صرت تدعونا الى لغة لا ثقي بها وقد عفت منذ زمان طويل ، و باد اهلهـا ، وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها ، و يتفاهمون اغراضهم بتصرفها ، على انك تنقل من السريانية ، فما تقول في معان متحولة بالنقل من لغة يونان الى لغة أخرى سريانية ، ثم من هذه الى لغة أخرى عربية . قال متى : يونان وان بادت مع لغتها فان الترجمة قد حفظت الاغراض ، وادت المعاني ، واخلصت الحقائق . قال ابو سعيد : اذا سلمنا لك ان الترجمة صدقت وما كذبت ، وقومت وما حرفت ، ووزنت وما جزفت ، وانها ما التـاثت ، ولا حافت ولا نقصت ولا زادت ، ولا قدمت ولا اخرت ، ولا اخلت بمعنى الخاص والعـام ، ولا باخص الخاص ولا باعم العام . وان كان هذا لا يكون ، وليس في طبائع اللغات ، ولا في مقادير المعاني . فكأنك تقول بعد هذا لا حجة الا عقول يونان ، ولا برهان الا ما وضعوه . ولا حقيقة الا ما ابرزوه . قال متى : لا ولكنهم من بين الامم اصحاب عناية بالحكمة ، والبحث عن ظاهر هذا العالم و باطنه وعن كل مايتصل به ، و ينفصل عنه ، وبفضل عنايتهم ظهر ماظهر ، وانتشر ما انتشر ونشأ ما نشأ من انواع العلم واصناف الصناعة ولم نجد هذا لغيرهم . قال ابو سعيد : اخطأت وتعصبت وملت مع الهوى فان العلم مبثوث في العالم . ولهذا قال القائل :

العلم في العالم مبثوث ونحوَه العاقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جديد الارض ولهذا غلب علم في مكان دون مكان و كثرت صناعة في بقعة دون صناعة وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة . ومع هذا فانما كان يصح قولك وتسلم دعواك لو كانت يونان معروفة بين جميع الامم بالعصمة الغالبة والفطرة الظاهرة والبنية المخالفة وانهم لو ارادوا ان يخطئوا ما قدروا ولو قصدوا ان يكذبوا ما استطاعوا وان السكينة نزلت عليهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والحق تكفل بهم والخطأ تبرأ منهم والفضائل لصقت باصولهم وفروعهم والرذائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم وهذا جهل ممن يظنه بهم وعناد ممن يدعيه عليهم بل كانوا كغيرهم من الامم يصيبون في اشياء ويخطئون في اشياء ويصدقون في امور ويكذبون في امور ويحسنون في احوال ويسيئون في احوال ....

قال ابوحيان : هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الشيخ صالح باملائه وكان ابو سعيد روى لمعاً من هذه القصة وكان يقول لم احفظ على نفسي كل ماقلت ولكن كتب ذلك القوم الذين حضروا في الواح كانت معهم ومحابر ايضاً وقد اختل كثير منه . قال علي بن عيسى : ونقوض المجلس واهله يتعجبون من جأش ابي سعيد ولسانه المتصرف ووجهه المتهلل وفوائده المتتابعة . وقال له الوزير ابن الفرات : عين الله عليك ايها الشيخ فقد ندبت اكباداً واقررت عيوناً وبهضت وجوهاً وحكت طرازاً لاتبليه الايام ولايتطرقه الحدثان قال قلت لعلي بن عيسى : وكم كان سن ابي سعيد يومئذ قال مولده سنة ثمانين ومائتين وكان له يوم المناظرة اربعون سنة وقد عبث الشيب بلهازمه [1] .

نموذج من كتاب الامتاع

نقل القفطي ان السبب في تأليف التوحيدي كتاب الإمتاع والمؤانسة ان اباسليمان المنطقي أستاذ التوحيدي في الفلسفة — وكانت داره في دار السلام مقيل اصحاب العلوم القديمة — كان لانقطاعه عن الناس ، ولزومه مجلسه ، يشتهي الاطلاع على اخبار الدولة ، وعلم ما يحدث فيها ، بمكان من يغشاه من الاجلاء ، ينقل اليه بعض اخبارها ، وكان ابوحيان من بعض المعتصمين به ، وكان يغشى مجالس الرؤساء ويطلع على الاخبار ومما علمه من ذلك نقله اليه ، وحاضره به ، ولاجله صنف كتاب الإمتاع والمؤانسة ، نقل له فيه ما كان يدور في مجلس ابي الفضل عبدالله بن العارض الشيرازي عندما تولى وزارة صمصام الدولة بن عضد الدولة . قال : وهو كتاب ممتع على التحقيق ، لمن له مشاركة في فنون العلم ، فانه خاض كل بحر ، وغاص كل لجة . قال القفطي : وما احسن

(١) لهازم ج لهزمة وهما عظمان ناتئان في اللحيين تحت الاذنين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ماراًيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض اهل جزيرة صقلية وهو : ابتدأ ابو حيان كتابه صوفياً ، وتوسطه محدثاً ، وختمه سائلاً ملحفاً اه . وفي الكلام الاخير صورة صغيرة مما كان يعاب على اخلاق ابي حيان وقد لا يجد المدافع معذرة يعتذر بها عنه .

واليكم نموذجاً آخر من كتاب الإمتاع قال ابو حيان وقد ذكر طائفة من متكلمي زمانه ثم قال : واما مسكويه ففقير بين اغنياء وغني بين ابناء ، لانه شاذ وانما اعطيته في هذه الايام صفو الشرح لايساغوجي وقاطيغوريا س من تصنيف صديقنا بالريّ . وقال الوزير ومن هو ؟ قلت : ابو القاسم الكاتب غلام ابي الحسن العامري ، وصحبته معي وهو الآن لائذ بابن الخمار ، وربما شاهد اباسليمان المنطقي ، وليس له فراغ ، لكنه مخبت في هذا الوقت للحسرة التي لحقته مما فاته من قبل فقال : ياعجباً لرجل صحب ابن العميد وابا الفضل ورأى ماعنده وهذا حظه قلت : قد كان هذا ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء مع ابي الطيب الكيميائي الرازي ، مملوك الهمة في طلبه ؛ والحرص على اصابته ، مفتوناً بكتب ابي زكريا وجابر بن حيان ، ومع هذا كان اليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه ، هذا مع تقطيع الوقت في الحاجات الضرورية والشهوية ، والعمر قصير والساعات طائرة ، والحركات دائمة ، والفرص بروق تأتلق ، والاوطار في عرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس عن قرابتها نذوب وتحترق ، ولقد قطن العامريّ الريّ خمس سنين ، ودرس واملى ، وصنف وروى ، فما اخذ عنه مسكويه كلمة واحدة ، ولاوعى مسألة ، حتى كأنه كان بينه وبينه سد . ولقد تجرع على هذا التواني الصاب والعلقم ، ومضغ لقمة حنظل الندامة في نفسه ، وسمع باذنه قوارع الندامة من اصدقائه ، حين ماينفع ذلك كله ، وبعد هذا فهو زكي حسن ... نقي اللفظ وان بقي عساه يتوسط هذا الحديث ، وما ارى ذلك مع كلف بالكيمياء وانفاق زمانه ، وكد بدنه وقلبه في خدمة السلطان ، واحتراقه في البخل بالدانق والقيراط والكسرة والخرقة ، نعوذ بالله من مدح الجود باللسان ، وايثار الشح بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ، ومفارقته بالعمل .

قلنا وهذا الحكم على ابن مسكويه وهو من الفلاسفة ايضاً فيه من القسوة مافيه ، بل هذا الحكم على معاصريه ، وان كان اكثره صحيحاً يوغر ولاشك الصدور و يوفر الاحقاد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والطوائل ، والنفوس البشرية قد تتأذى بكشف حقائقها . اما هو فمنزعه واحد وهو ما قاله في آخر كتاب اخلاق الوزيرين « ولكن النقص ممن يدعي التمام اشنع ، والحرمان من السعيد المأمول فاقرة ، والجهل من العالِم منكر ، والكبيرة ممن يدعي العصمة جائحة ، والبخل ممن يتبرأ منه بدعواه عجيب » . ومن الانصاف ان نقول ان التوحيدي اجاد كل الاجادة في التعريف بالرجال ووقفنا على نفسياتهم ونزائعهم ، وليس هذا بالامر السهل ، وما كل من كتبوا في العرب نظروا الى هذه المظاهر من الناس .

مثال آخر من كتاب الإمتاع

جماعة اخوان الصفا

سأل الوزير صمصام الدولة بن عضد الدولة اباحيان التوحيدي في حدود سنة ٣٧٢ عن اخوان الصفا بقوله : اني لا ازال اسمع من زيد بن رِفاعة قولاً يريبني ، ومذهباً لا عهد لي به ، وكناية عما لا أحققه ، واشارة الى ما لا يتوضح شيء منه ، يذكر الحروف ويذكر النقط ويزعم ان الباء لم تنقط من تحت واحدة الا لسبب والتاء لم تنقط من فوق اثنتين الا لعلة والالف لم تُعجم الا لغرض واشباه هذا . واشهد منه في عُرض ذلك دعوى يتعاظم بها وينتفخ بذكرها فما حديثه وما شأنه وما دخلته فقد بلغني يا اباحيان انك تغشاه وتجلس اليه وتكثر عنده ولك معه نوادر معجبة . ومن طالت عشرته لانسان صدقت خبرته وامكن اطلاعه على مستكنّ رأيه وخافي مذهبه . فقلت ايها الوزير : انت الذي تعرفه قبلي قديماً وحديثاً بالاختبار والاستخدام وله منك الإمرة القديمة والنسبة المعروفة فقال : دع هذا وصِفه لي فقلت : هناك ذكاء غالب وذهن وقاد ومتسع في قبول النظم والنثر مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة وحفظ ايام الناس وسماع المقالات وتبصر في الآراء والديانات وتصرّف في كل فن اما بالشدو الموهم واما بالتوسط المفهم واما بالتناهي المفحم . قال : فعلى هذا ما مذهبه قلت : لا ينسب الى شيء ولا يعرف برهط لجيشانه بكل شيء وغليانه بكل باب ولاختلاف ما يبدو من بسطته ببيانه وسطوته بلسانه وقد اقام بالبصرة زمناً طويلاً وصادف بها جماعة لاصناف العلم وانواع الصناعة منهم ابو سليمان محمد بن معشر البستي و يعرف بالمقدسي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وابوالحسن علي بن هرون الزنجاني وابواحمد المهرجاني والعوفي وغيرهم فصحبهم وخدمهم .

وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهباً زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله وذلك انهم قالوا : ان الشريعة قد دُنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال وصنفوا خمسين رسالة في جميع اجزاء الفلسفة عمليها وعمليها وافردوا لها فهرساً وسموها « رسائل اخوان الصفاء » وكتموا فيها اسماءهم وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق المموهة .

قال الوزير : فهل رأيت هذه الرسائل قلت : قد رأيت جملة منها وهي مبثوثة من كل فن بلا إشباع ولا كفاية وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات . وحملت عدة منها الى شيخنا ابي سليمان المنطقي السجستاني محمد بن بهرام وعرضتها عليه فنظر فيها اياماً وتبحرها طويلاً ثم ردها عليّ وقال : تعبوا وما اغنوا ونصبوا وما اجدوا وحاموا وما وردوا وغنّوا وما اطربوا ونسجوا فهلهلوا ومشطوا فقلقلوا ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ظنوا انه يمكنهم ان يدسوا الفلسفة التي هي علم النجوم والافلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة والموسيقى الذي هو معرفة النغم والايقاعات والنقرات والاوزان والمنطق الذي هو اعتبار الاقوال بالاضافات والكميات والكيفيات في الشريعة وان يربطوا الشريعة في الفلسفة وهذا مرام دونه حدّ (ممتنع باطل) وقد تورد على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا احدّ انياباً واحضر اسباباً واعظم اقداراً وارفع اخطاراً واوسع قوىً واوثق عرىً فلم يتم لهم ما ارادوه ولا بلغوا منه ما املوه وحصلوا على لوثات قبيحة ولطخات واضحة موحشة وعواقب مخزية فقال له البخاري ابن العباس : ولم ذلك ايها الشيخ فقال : ان الشريعة مأخوذة عن الله عزّ وجلّ بوساطة السفير بينه وبين الخلق من طريق الوحي وباب المناجاة وشهادة الآيات وظهور المعجزات وفي اثنائها ما لا سبيل الى البحث عنه والغوص فيه ولا بد من التسليم المدعو اليه والمنبّه عليه وهناك يسقط « لِمَ » و يبطل « كيف »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و يزول «هلا» و يذهب « لو وليت » في الريح الخ (عن تراجم الحكماء) . هذه حقيقة جمعية اخوان الصفا . وصفها التوحيدي اجمل وصف وابلغ في كلامه على زيد بن رفاعة وكان شيخنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري كثيراً ما قال ان زيد بن رفاعة والخليل بن احمد وابا الاسود الدؤلي كانوا من افراد الدنيا وما احلى قول التوحيدي في ابن رفاعة انه تصرف في كل فن اما بالشدو الموهم واما بالتوسط المفهم واما بالتناهي المفحم .

كتاب تقريظ الجاحظ

هذا الكتاب ينقل عنه ياقوت احياناً ونقل عنه الجرجاني في كنايات الادباء كما نقل ايضاً عن كتاب الذخائر او النظائر قال : قرأت بخط ابي حيان التوحيدي في كتابه الذي الفه في تقريظ الجاحظ وقد ذكر العلماء الذين كانوا يفضلون الجاحظ فقال ومنهم علي بن عيسى الرماني فانه لم ير مثله قط بلا نقيصة ولا تحاش ولا اشمئزاز ولا استيحاش علماً بالنحو وغزارة في الكلام وبصراً بالمقالات واستخراجاً للعويص وايضاحاً للمشكل مع تأله وتنزه ودين و يقين وفصاحة وفقاهة وعفافة ونظافة .

ونقل ياقوت ايضاً جملة من هذا الكتاب فقال : ومنهم (اي من الذين قدمهم التوحيدي على الجاحظ وفضلهم) ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ وامام الائمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة . افتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب ابي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه على زلة وقضى ببغداد وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني فما جاراه فيه احد ولا سبقه الى اتمامه انسان هذا مع الثقة والديانة والامانة والرواية صام اربعين سنة واكثر الدهر كله .

وهذا الكتاب من عجائب التوحيدي ايضاً فانه على ما ظهر من هذين النموذجين فيما نرى في وصف السيرافي والرماني انه فضلهما على الجاحظ في هذا الاختصاص وهذا موضع نظر ايضاً

مثال آخر من هذا الكتاب عن طبقات الادباء لياقوت : قال ابو حيان في كتاب تقريظ الجاحظ ومن خطه الذي لا ارتياب فيه نقلت قال : قلت لابي محمد الاندلسي يعني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عبدالله بن حمود الزبيدي وكان من عدد اصحاب السيرافي وله في هذا الكتاب ذكر . قد اختلف اصحابنا في مجلس ابي سعيد السيرافي في بلاغة الجاحظ وابي حنيفة صاحب النبات ووقع الرضى بحكمك فما قولك ؟ فقال : انا أحقر نفسي عن الحكم لها وعليها فقال : لا بد من قول . قال : ابو حنيفة اكثر ندارة وابو عثمان اكثر حلاوة ومعاني ابي عثمان لائطة بالنفس سهلة في السمع ولفظ ابي حنيفة اعذب واعرب وادخل في اساليب العرب قال ابو حيان : والذي اقول واعتقده وآخذبه واستهام عليه اني لم اجد في جميع من تقدم وتأخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان على نقر يظهم ومدحهم ونشر فضائلهم في اخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا الى ان يأذن الله بزوالها لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم . هذا الشيخ الذي انشأنا له هذه الرسالة وبسببه جشمنا هذه الكلفة اعني اباعثمان عمرو بن بحر والثاني ابو حنيفة الدينوري فانه من نوادر الرجال جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب له في كل فن ساق وقدم ورُواء وحكم وهذا كلامه في الانواء يدل على حظ وافر من علم النجوم واسرار الفلك فاما كتابه في النبات فكلامه فيه في عروض كلام ابدى بدوي وعلى طباع افصح عربي . ولقد قيل لي ان له في القرآن كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً ما رأيته وانه ماسبق الى ذلك النمط هذا مع ورعه وزهده وجلالة قدره . وقد وقف الموفق عليه وسأله وتحفى به . والثالث ابو زيد احمد بن سهل البلخي فانه لم يتقدم له شبيه في الاعصر الأُول ولا يظن انه يوجد له نظير في مستأنف الدهر ومن تصفح كلامه في كتاب اقسام العلوم وفي كتاب اخلاق الامم وفي كتاب نظم القرآن وفي كتاب اختيار السيرة وفي رسائله الى اخوانه وجوابه عما يسأل عنه وبديه به علم انه بحر البحور وانه عالم العلماء وماروي في الناس من جمع بين الحكمة والشريعة سواه وان القول فيه لكثير ولو ناصرت الينا اخبارهما لكنا نحب ان نفرد لكل واحد منهما تقريظاً مقصوراً عليه وكتاباً منسوباً اليه كما فعلت بابي عثمان اه .

مثال من مثالب الوزيرين

قال ابو حيان : حدثنا ابو بكر الصيمري قال : حدثنا ابن سمكة قال : حدثنا ابن محارب قال : سمعت احمد بن الطيب يقول ان صديقاً لابن ثوابة الكاتب ابي العباس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يكنى اباعبيدة قال له ذات يوم : انك بحمدالله ومنّه ذو أدب وفصاحة و براعة فلو اكملت فضائلك بان تضيف اليها معرفة البرهان القياسي وعلم الاشكال الهندسية الدالة على حقائق الاشياء وقرأت اقليدس وتدبرته . فقال له ابن ثوابة : وما كان اقليدس ومن هو قال : رجل من علماء الروم يسمي بهذا الاسم وضع كتاباً فيه اشكال كثيرة مختلفة تدل على حقائق الاشياء المعلومة والمغيبة يشحذ الذهن ويدقق الفهم ويلطف المعرفة ويصفي الحاسة ويثبت الروية ومنه افتتح الخط وعرفت مقادير حروف المعجم قال له ابوالعباس بن ثوابة : وكيف ذلك قال : لاتعلم كيف هو حتى تشاهد الاشكال وتعاين البرهان فقال : فافعل ما بدالك . فأتاه برجل يقال له قويري مشهور ولم يعد اليه بعد ذلك . قال احمد بن الطيب : فاستظرفت ذلك وعجبت منه فكتبت الى ابن ثوابة رقعة نسختها . بسم الله الرحمن الرحيم اتصل بي جعلت فداك ان رجلاً من اخوانك اشار عليك بتكميل فضائلك وتقويتها بشيء من معرفة القياس البرهاني وطمأنينتك اليه وانك أصغيت الى قوله وأذنت له فاحضرك رجلاً كان غاية في سوء الادب معدناً من معادن الكفر واماماً من أئمة الشرك لاستغرارك واستغوائك يخادعك عن عقلك الرصين وينازلك في ثقافة فهمك المبين فأبى الله العزيز الا جميل عوائده الحسنة قِبلك ومننه السوابق لديك وفضله الدائم عندك بان تأتي على قواعد برهانه من ذرونه وتحظ عوالي اركانه من اقصي معاقد أسه فأحببت استعلامي ذلك على كنهه من جهتك ليكون شكري لك على ما كان منك حسب لومي لصاحبك على ما كان منه ولأتلافي الفارط في ذلك بتدبير المشيئة ان شاء الله تعالى .

قال فأجابني ابن ثوابة برقعة نسختهـا : بسم الله الرحمن الرحيم . وصلت رقعتك أعزك الله وفهمت فحواها وتدبرت متضمنهـا واخبرك اتصل بك والامر كما بلغك وقد خصصته وبيننا حتى كأنك معنا وشاهدنا واول ما اقول الحمدلله مولى النعم والمتوحد بالقسم اليه يرد علم الساعة واليه المصير وانا اسأل ايزاع الشكر على ذلك وعلى ما منحنا من ودك واتمامه بيننا بمنه .

وهنا ذكر ما وقع له واظهر تأففه من علم الهندسة ولعن الوسيط له الى معلمها على صورة مضحكة يخرج بنا ان اقتبسناها عن الغرض الذي قصدنا . وقد عقب عليها ياقوت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعد ان نقلها برمتها في ترجمة احمد بن محمد بن ثوابة بقوله : لاشك انا كثر ما في هذه الرسالة مفتعل مزوّر وما اظن برجل مثل ابن ثوابة وهو بمكانة من العلم بحيث تلقى اليه مقاليد الخلافة فيخاطب عنها بلسانه القاصي والداني و يرتضيه العقلاء والوزراء، بحيث لا يرون له نظيراً في زمانه في براعة لسانه تولى كتابة الانشاء السنين الكثيرة ان يكون منه هذا كله . ولكن عسى ان يكون منه ما كان من ابن عباد وهو الذي ساق ابوحيان خبر ابن ثوابة لاجله وهو ان قال كان ابن عباد يسب اصحاب الهندسة و يقول جاءني بعض هؤلاء الحمق ورغبني في الهندسة فابتدأ فأثبت خمسة وعشرين وخط خطاً ووضع شكلاً وطول وزعم انه يعمل برهاناً على ذلك فقلت له : كنت اعرف ان هذا خمسة وعشرون ضرورة وقد شككت الآن فأنا مجتهد حتى اعلم بالاستدلال وهذا هو الخسار . قال ياقوت ومثل هذا لا يبعد ان يقول مثله من لم يتدرب بهذه الصناعة فاما ما تقدم من حديث ابن ثوابة فهو غاية في التجلف والرجل كان اجل من ذلك وانما أُتي اما من جهة احمد بن الطيب لانه كان فيلسوفاً وكان ابن ثوابة متمجرفاً كما ذكرنا فأخذ يسخر منه ليضحك المعتضد فان احمد بن الطيب كان من جلساء المعتضد واما ان يكون ابوحيان جرى على عادته في وضع ما اكثر من وضعه من مثل ذلك والله اعلم . وعندنا ان التوجيه الاول اوجه اي حمل هذا الكتاب على اختراع احمد بن الطيب للاضحاك والهزوء والتوحيدي اورد الرسالتين على علاتهما كأن لسان حاله لم آمر بها ولم تسؤني .

مثال من كتابه الصداقة والصديق

قال في مقدمة هذا الكتاب « اللهم خذ بايدينا فقد عثرنا واسترعلينا فقد اعورنا وارزقنا الألفة التي بها تصلح القلوب وتنقى الجيوب حتى نعيش في هذه الدار مصطلحين على خير مؤثرين للتقوى عاملين شرائط الدين آخذين باطراف المروءة آنفين من ملابسة مايقدح في ذات البين متزودين للعاقبة التي لابد من الشخوص اليها ولامحيد عن الاطلاع عليها انك تؤتي من تشاء ما تشاء .

« سمع مني في وقت بمدينة السلام كلام في الصداقة والعشرة والمؤاخاة والألفة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وما يلحق بها من الرعاية والحفاظ والوفاء والمساعدة والنصيحة والبذل والمؤاساة والجود والتكرم مما قدار نفع رسمه بين الناس وعفى اثره عند العام والخاص وسئلت إثباته ففعلت ووصلت ذلك بجملة مما قال اهل الفضل والحكمة وأصحاب الديانة والمروءة ليكون ذلك كله رسالة تامة يمكن ان يستفاد منها وينتفع بها في المعاش والمعاد . وسمعت الخوارزمي ابابكر محمد بن العباس الشاعر البليغ يقول : اللهم نفق سوق الوفاء فقد كسدت ، وأصلح قلوب الناس فقد فسدت ، ولا تمتني حتى يبور الجهل ، كما بار العقل ، ويموت النقص كما مات الفهم . وأقول : اللهم اسمع واستجب ، فقد برح الخفاء ، وغلب الجفاء ، وطال الانتظار ، ووقع اليأس ، ومرض الامل ، واشفى الرجاء ، والفرج معدوم ، وأظن ان الداء في هذا الباب قديم ، والبلوى فيه مشهورة ، والعجيج منه معتاد .

« فأول ذلك اني قلت لابي سليمان محمد بن طاهر السجستاني إني ارى بينك وبين ابن سيار القاضي ممازجة نفسية ، وصداقة عقلية ، ومساعدة طبيعية ، ومؤاتاة خُلُقية . فمن اين هذا و كيف هو ؟ فقال : يابني اختلطت ثقتي به بثقته بي ، فاستفدنا طُمأنينة وسكوناً لا يرثان على الدهر ، ولا يحولان بالقهر ، ومع ذلك فبيننا بالطالع ، ومواقع الكواكب ، مشاكلة عجيبة ، ومظاهرة غريبة ، حتى انا نلتقي كثيراً في الارادات والاختيارات ، والشهوات والطلبات ، وربما تزاورنا فيحدثني باشياء جرت له بعد افتراقنا من قبل ، فأجدها شبيهة بامور حدثت لي في ذلك الاوان ، حتى كأنها قسائم بيني وبينه ، او كأني هو فيها او هو انا ؛ وربما حدثته برؤيا فيحدثني باختها ، فنراها في ذلك الوقت اوقبله بقليل او بعده بقليل . قال : ورأيته قد ملكه التعجب من هذا وشبهه ، فحدثته بما نقاسمه من قوى الفلك ، وان سهامنا واحدة ، وأنصابنا منها متساوية ، او قريبة من التساوي ، فعجب وازداد بصيرة في إخلاص الصداقة ، وتوكيد العلاقة . فقلت لابي سليمان كيف يصح هذا ، وانت مطالبك في الفلسفة ، وصورك مأخوذة من الحكمة ، وقُتَيْبَتُك [1] مجموعة من الحقائق ، وخوضك في الغوامض والدقائق ، وذاك رجل في عداد القضاة ، وجلة الحكام ، واصحاب القلانس ، ومخاضة (؟) الظاهر

(١) القُتيبة تصغير القتبة وهي الامعاء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي عليه الجمهور ، ومأخذه مما عليه السواد الاعظم . فقال : هـذا هو الذي انفردنا عنه ، بعد ان ازدوجنا عليه ، والاصل ابداً مخالف للفرع ، لاخلاف الضد للضد ، ولكن خلاف الشكل للشكل ، وكان مشتريه خالياً من قوة زحل ، فبرز في حلبة القضاة ، وكان المشتري لي مقتبساً من زحل ، فظهرت بما ترى ، فجمعتنا المشاكلة على العلم ، وفرقنا الاختلاف بالفن .

قلت : هذا والله ظريف ، ومما يزيد في طرافتـه انك من سجستان وهو من الصَيْمَرة فقال : الامكنة في الفلك أشد تضاماً من الخاتم في إصبعك ، وليس لها هناك هذا البعد الذي تجده بالمسافة الارضية ، من بلد الى بلد ، بفراسخ تقطع ، وجبال تعلى ، وبحار تُخرق ، فقلت : هل تجد عليه في شيء او يجد عليك في شيء فقال : وجدي به في الاول ، قد حجبني عن موجدتي عليه في الثاني ، على انه يكنني مني فيما خالف هواي باللمحة الضئيلة ، واكتفي انا ايضاً منه في مثل ذلك بالاشارة القليلة . وربما تعاتبنا على حال تُعرض على طريق الكناية عن غيرنا ، كأننا نتحدث عن قوم آخرين ، ويكون لنا في ذاك مقنع ، واليه مفزع . وقلما نجتمع الا ويحدثني عني باسرار ما سافرت عن ضميري الى شفتي ، ولا ندّت عن صدري الى لفظي ، وذاك للصفاء الذي نتساهمه ، والوفاء الذي نتقاسمه ، والباطن الذي نتفق عليه ، والظاهر الذي نرجع اليه ، والاصل الذي رسوخنا فيه ، والفرع الذي تشبثنا به ، والله ما يسرني بصداقته حُمْر النَعَم ، ولا أجد بها بحياتي ما اجد بحياتي لي واذا كنت اعشق الحياة لاني بها أحيا كذلك أعشق كل ما وصل الحياة بالحياة وجنى لي ثمرتها وجلب الي روحها وخلط بي طيبها وحلاوتها .

وكان ابو سليمان يحدثني عن ابن سيار بعجائب واما انا فما عرفته الا قاضياً جليلاً صاحب جَدٍّ وتفخيم وتوقير وتعظيم وكان مع ذلك بسيط اللسان شريف اللفظ واسع التصرف لطيف المعاني بعيد المرامي بذهب مذهب ابي حنيفة .

تعريف للصداقة وضروب للاصدقاء

« ثم قال ابو سليمان : الصداقة التي تدور بين الرغبة والرهبـة شديدة الاستحالة وصاحبها من صاحبه في غرور والزلة فيها غير مأمونة وكسرها غير مجبور . قال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فاما الملوك فقد جلوا عن الصداقة ولذلك لاتصح لهم أحكامها ولا توفي معهودها وانما أمورهم جارية على القدرة والقهر والهوى والشائق والاستملاء والاستخفاف واما خدمهم واولياؤهم فعلى غاية الشبه بهم · ونهاية المشاكلة لهم لانتشابهم بهم (انتشب فيه اعتلق) وانتسابهم اليهم وولوع طورهم بما يصدر عنهم و يرد عليهم · واما الندماء واصحاب الضياع فليسوا من هذا الحديث في عير ولا نفير · واما التجار فكسب الدوانيق سد بينهم وبين كل مروءة وحاجز لهم عن كل مايتعلق بالفتوة · واما أصحاب الدين والورع فعلى قلتهم ربما خلصت لهم الصداقة لبنائهم إياها على التقوى وتأسيسها على أحكام الحرج وظلب سلامة العقبى · واما الكتاب واهل العلم فانهم اذا خلوا من التنافس والتحاسد والتباري والتماحك فربما صحت لهم الصداقة وظهر منهم الوفاء وذلك قليل وهذا القليل من الاصل القليل · واما أصحاب المذاب والتطفيف[1] فانها رِجْرِجة[2] بين الناس · لا محاسن لهم فتذكر ولا مساعي فتنشر ولذلك قيل لهم همج ورعاع وأوباش وأوتاش[3] ولغيف[4] وزعانف وداصة[5] وسُقّاط وانذال وغوغاء لانهم من دقة الهمم وخساسة النفوس ولؤم الطباع على حال لا يجوز ان يكونوا في حومة المذكورين وعصابة المشهورين · فلهذه الامور الحائلة عن مقارها الزائغة الى غير جهاتها علل واسباب لو نفّس الزمان قليلاً لكنا ننشط لشرحها وذكر ماقد اتى النسيان عليه وعفى اثره الاهمال وشغل عنه طلب القوت ومن اين يظفر بالغذاء من كان عاجزاً عن الحاجة و بالعشاء من كان قاصراً عن الكفاية و كيف يحتال في حصول طمرين للستر لا للتجمل و كيف يهرب من الشر المقبل و كيف يهرول وراء الخير المدبر و كيف يستعان بمن لا يعين و يشتكى

(١) التطفيف نقص يخون به صاحبه في كيل او وزن والمطففون الذين ينقصون المكيال والميزان والمذاب جمع مذبة بكسر الميم مايذب به الذباب وهي هنة تسوى من هلب الفرس و يقال أذنابها مذابها وهو مجاز · (٢) الرِّجْرِجة بقية ماء مختلط بطين في أسفل الحوض و يطلق على الحمق والمهازيل · (٣) الوتش القليل من كل شيء ورذال الناس ولعلها الأوقاش وهم الأوباش · (٤) اللغيف من يأكل مع اللصوص و يحرس ثيابهم ولا يسرق معهم · (٥) جمع دائص وهو اللص او من يتبع الولاة ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى غير رحيم ولكن حال الجريض دون القريض[١] .

ومن العجب والبديع أنا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق والاسف والحسرة والغيظ والكمد والومد وكأني بغيرك اذا قرأها تقبضت نفسه عنها وامر نقده عليها وانكر عليّ التطويل والتهويل بها . وانما اشرت بهذا الى غيرك لانك تبسط من العذر مالا يجود به سواك وذاك لعلمك بحالي واطلاعك على دخلتي واستمراري على هذا الانقاض والعوز اللذين قد نقضا قوتي ونكثا مرتي وأفسدا حياتي وقرناني بالأسى وحجباني عن الأسى لاني فقدت كل مؤنس وصاحب ومرفق مشفق والله لربما صليت في الجامع فلا ارى الى جنبي من يصلي معي فان اتفق فبقال اوعصار او نداف اوقصاب ومن اذا وقف الى جانبي أسدرني[٢] بصُنانه وأسكرني بنتنه . فقد أمسيت غريب الحال غريب اللفظ غريب النحلة غريب الخُلُق مستأنساً بالوحشة قانعاً بالوَحدة معتاداً للصمت ملازماً للحيرة محتملاً للاذى يائساً من جميع من ترى متوقعاً لما لا بد من حلوله فشمس العمر على شفا وماء الحياة الى نضوب ونجم العيش الى افول وظل التلبث الى قلوص اه » .

سبب تأليف الصداقة والصديق ومرمى التوحيدي في صنعة الرسائل

وقال التوحيدي بعد ذكر هذه المقدمة ان سبب انشائه هذه الرسالة في الصداقة والصديق انه ذكر « شيئاً منها لزيد بن رفاعة ابي الخير فنماه الى ابن سعدان الوزير ابي عبدالله سنة احدى وسبعين وثلاثمائة قبل تحمله اعباء الدولة وتدبيره امر الوزارة حين كانت الاشغال خفيفة والاحوال على أذلالها[٣] جارية » فأشار عليه ابن سعدان

(١) الجريض الغصة من الجرض وهو الريق والقريض الشعر واصل المثل ان رجلاً كان له ابن نبغ في الشعر فنهاه ابوه عن ذلك فجاش به صدره ومرض حتى أشرف على الهلاك فأذن له ابوه في قول الشعر فقال هذا القول . (٢) أسدرني حيرني ولم نجد هذا الفعل في الكتب التي بين ايدينا . (٣) في المثل : أجرِ الامور على أذلالها اي على وجوهها التي تصلح وتسهل وتتيسر ويقال جار به على أذلاله اي على وجهه وواحد الأذلال ذل بالكسر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان يدونه فجمع هذه الرسالة وابطأ عن تحريرها فلما مرّ على ذلك بعض سنين عثر على المسودة وبيضها ·

وقد قال في مكان آخر : « قد اتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق ومايتصل بالوفاق والخلاف والهجر والصلة والعتب والرضا والمذق والاخلاص والرياء والنفاق والحيلة والخداع والاستقامة والالتواء والاستكانة والاحتجاج والاعتذار· ولو امكن لكان تأليف ذلك كله أتم مما هو عليه واجرى الى الغاية في خم الشيء الى شكله وحبسه في قالبه فكان رونقه أبين ورفيقه أحسن ولكن العذر قد تقدم · ولو أردنا ايضاً ان نجمع ماقاله كل ناظم في شعره وكل ناثر من لفظه لكان ذلك عسراً بل متعذراً فان أنفاس الناس في هذا الباب طويلة وما من احد الا وله في هذا الفن حصة لانه لا يخلو احد من جار او معامل او حميم او صاحب او رفيق او سكن او حبيب او صديق او أليف او قريب او بعيد او ولي او خليط كما لا يخلو ايضاً من عدو او كاشح اومداج اومكاشف اوحاسد اوشامت او منافق او مؤذٍ او منابذ او معاند او مزل او مضل او مغل · وقد قال الاوائل الانسان مدني بالطبع وبيان هذا انه لا بد له من الاعانة والاستعانة لانه لايكمل وحده لجميع مصالحه ولا يستقل بجميع حوائجه وهذا ظاهر واذا كان مدنياً بالطبع كما قيل فبالواجب مايعرض في أضعاف ذلك من الاخذ والعطاء والمجاورة والمحاورة والمخالطة والمعاشرة مايكون سبباً لنظام الحال او يكون سبباً لانتشار الامر ولا محالة ان هذه وأشباهها مفضية بالناس الى جملة ما نعته هؤلاء الذين روينا نظمهم ونثرهم وكتبنا جورهم وانصافهم وذلك اعلى فنون ما قالوه ونظروه وعيون ماذكروه وتشروه ونروي في هذا الموضع بقية أبيات وان عن شيء حكيناه ونغلق الرسالة فانها اذا طالت أبغضت واذا أبغضت هجرت اه ·

وهذا النموذج الضئيل الذي أوردناه من الصداقة والصديق كافٍ في الحكم على أسلوبها والروح الذي ينزع اليه في تأليفها · وملاحظة التوحيدي على ائتلاف المتضادين في العلم والتمثيل بصداقة أستاذه ابي سليمان المنطقي وصديقه ابن سيار القاضي ووصف ابي سليمان وصفاً دقيقاً للصلات التي عقدت بين قلبها ثم ابداءه في وصف طبقات الاصدقاء كل ذلك من جميل الوصف والى اليوم ما اختل هذا التقسيم وان رأيت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الوفاء والصداقة فني النادر الشاذ . ومن أبدع الصفحات وصف غُربته في أمته غربة الفكر والاجتماع والنحلة والخُلُق والعادة . ولا بدع فهو من جيد الوصف في نفسية اهل عصره ومنزلة العالم بين جمهور الغاغة والغوغاء . ومن أجمل الاعذار اعتذاره عن طول هذه الرسالة علماً منه ان مكانة الكتاب بمادته لا بسعته ولكن اذا قضت الحال بالتطويل اضطر المؤلف الى اطلاق عنان بيانه .

مثال من مجالسهم

في كتاب الصداقة والصديق قوله : رأيت ابن سعدان ينشد يوماً وقد انكر شيئاً من بعض الندماء .

عدو راح في ثوب الصديق شريك في الصبوح وفي الغبوق
له وجهان ظاهره ابن عم وباطنه ابن زانية عتيق
يسرك ظاهراً و يسوء سراً كذاك تكون ابناء الطريق

وانا أسمي لك ندماءه ، وأروي كلاماً له وصفهم به . منهم ابوعلي عيسى بن زرعة النصراني المتفلسف ، وابن عبيد الكاتب ، وابن الحجاج الشاعر ، وابوالوفاء المهندس ، وابن بكر ، ومسكويه ، وابو القاسم الاهوازي ، وابو سعد بهرام بن ازدشير . وكان أوزنهم عنده ، وألصقهم بقلبه ، وابن شاهويه . هؤلاء اهل المجلس سوى الطارئين من اهل الدولة لا فائدة في ذكرهم . قال زيد بن رفاعة وكان قريباً له من جهة الخوف له(؟) : رأيت الوزير اليوم يصف ندماءه بكلام يصلح ان يكتب على الاحداق ، و يعرض على اهل الآفاق ، ليستفيده الصغير والكبير . قال : اصحابي طرائق قدد ، كما قال عبد الحميد الكاتب : الناس أخياف مختلفون ، وأصناف متباينون ، فمنهم علق مضنة لا يباع ، ومنهم غُل مظنة لا يُبتاع . وكما قال الآخر :

الناس أخياف وشتى في الشيم وكلهم يجمعهم بيت الأدم

فأما ابن زرعة فكبره بالحكمة ، وخيلاؤه بالثروة قد قدحا في حاق[1] عقله ، وهو لا يحس بذلك القدح ، فليس لنا منه اذا جالسنا الا النفخ والتعظم والتهويل

(١) وسط عقله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بارسطاطاليس وأفلاطون وسقراط وبقراط وفلان وفلان ، ومجالس الشراب تتجافى عن هؤلاء ، وهؤلاء يجلون عن مجالس الشراب ، يانائم ياغافل ياساهي ، واين انت من هؤلاء الحكماء القدماء أسيرتك سيرتهم ، أحالك حالهم ، انما تدعي عقائدهم باللسان ، وتنتحل اسماءهم باللفظ فاذا جاءت الحقيقة كنت على الشط تلعب بالرمل ولولا انه يكدر هزل جدنا بجد هزله لكان محمولاً مقبولاً ولكنه يأبى الا ماألفه وأفاد لمران عليه .

واما ابن عبيد فكلفه بالخطابة والبلاغة والرسائل والفصاحة قد طرحه في عمق الج لا مطمع في انتقاذه منه ولا طريق الى صرفه عنه هذا مع حركات غير متناسبة وشمائل غير دمثة ومناظرة مخلوطة بذلة اهل الذمة ودالة اصحاب الحجة .

واما ابن الحجاج فقد جمع بين حد القاضي ابي عمر في جلسته وحديثه وقيامه وتخطئته مع حياء كأنه مستعار من الغانية الشريفة وبين سخف شعره الذي لايجوز ان يكون لراويه مروءة به فكيف لقائله فنحن اذا نظرنا اليه تخيلنا صورة سخف شوهاء في صورة عقل حسناء ولا تخلص هذه من هذه ولا جرم استماعنا به قاصر عن مرادنا منه ودنوه منا ناب عن مراده له . اما الوفاء فهو والله ما يقعد به عن المؤانسة الطيبة والمساعدة المطربة والمفاكهة اللذيذة والمواتاة الشهية الا ان لفظه خراساني واشارته ناقصة هذا مع ماستفاده بمقامه الطويل ببغداد والبغدادي اذا «تخرسن» كان أحلى وأظرف من الخراساني اذا «تبغدد» . وان شئت فضع الاعتبار على من أردت فانك تجد هذا القول حقاً وهذه الدعوى مسموعة .

واما مسكويه فانه يسترد بدمامة خلقه ما يتكلفه من تهذيب خُلقه واكره له المشاغبة في كل مايجري لايجد في نفسه من المكانة والقرار مايعلم معه انمضاءه في فن هو فيه طويل الذيل مديد السيل لا يأذن له في تعاطي فن آخر هو فيه قصير الباع بليد الطباع وصاحب هذا الرأي ممكور به مصاب بجيد رأيه وقد أفسده . قال المهلبي قال ابن العميد وفعل ابن العميد : وما ذكره لهذين الا استطالة على الحاضرين والتشيع بذكر الرجال واضع من قدر الرجال .

واما ابن بكر فهو تميمة المجلس ولا بد للدار وان كانت قوراء من مخرج وهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بجهله مع خفة روحه وقبح وجهه أدخل في العين وألصق بالقلب من غيره مع علمه وثقل روحه وحسن ظاهره .

واما الأهوازي ابو القاسم فلا حلاوة ولا مرارة ولا حموضة ولا ملوحة وانما هو كالبصل في القِدر وكالإصبع الزائد في اليد على انا نرعى فيه حقاً قديماً ونرحمه الآن رحمة حديثة .

واما سيدي ابو سعد فوالله اني لأجد به وجداً اتهم فيه نفسي وما وجدت ألم سهر معه قط واني ارى حديثه آنق من المُني اذا أُدركت ومن الدنيا اذا ملكت . وإنّ تمازجنا بالعقل والروح والرأي والتدبير والنظر والارادة والاختيار والعادة ليزيد على حال توأمين تراكضا في رحم وتراضعا من ثدي ونوغيا في مهد وما أخوفني ان يؤتى من جهتي او أُؤتى من جهته وان عاقبته موصولة بعاقبتي لاني مأمنه وهو مأمني وما اكثر ما يؤتى الانسان من مأمنه والله المستعان .

واما ابن شاهويه فشيخ ليس لنا فيه فائدة الا ما يلقى الينا من تجاربه ومشاهداته ولولا زيادته التي تصنع بها من نفسه وبعض من خطراته لكان هدّك (نِعْمَ) من رجل ولكن من لك بالمهذب ألم يقل الاول : اي الرجال المهذب .

قال زيد بن رفاعة : قلت ايها الوزير ان طلوعك في خبايا ضمائرهم وعلمك بخفايا سرائرهم يطالبانك بالافراج عنهم وقلة الاكتراث بهم قال : لا تفعل والله ماهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير وانهم لاعيان اهل الفضل وسادة ذوي العقل واذا خلا العراق منهم فرقن[1] على الحكمة المروية والادب المتهادَى أتظن ان جميع ندماء المهلبي يفون بواحد من هؤلاء او تقدر ان جميع اصحاب ابن العميد يشبهون أقل من فيهم . قال : قلت هذا ابن عباد بالريّ وهو من يعرف ويسمع . قال : ويحك وهل عند ابن عباد الا أصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايحون وهو فيما بينهم بصيح ويقول قال شيخانا ابو علي وابو هاشم دعنا من حديثه وغثاثته وشعبذته فما احب ان أزيد في وصفه على ما أشرت اليه والله لو تصدى انسان متوسط في العلم والادب

(١) البرقين مواضع في الحُسبانات لئلا يتوهم انها بيضت كي لا يقع فيها حساب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والحنكة والانصاف لذكر شأنه وسيرته ، ووصف حاله وطريقته ، لحكى كل غريبة ، واتى بكل أعجوبة . الرجل مجدود ، وفي زمرة اهل الفضل معدود .

قال : رويت هذا الخبر على ما اتفق وكنت أطلب له مكاناً منذ زمان فلم اجد الا هذه الرسالة الآنية على حديث الصداقة والصديق اه » .

عرفنا بهذا الضرب من التدوين طبقة راقية من العلماء في عصر التوحيدي وما يغنزهم به الغامزون ، وأنى يغتابهم المغتابون ، ولو كتب لنا الاطلاع على جميع ما كتبه ابو حيان في كتبه : المحاضرات والامتاع والبصائر وماتخلل المجالس التي روى أخبارها مما شهده بنفسه اونقله اليه معاصروه الثقات — لجاءت السلسلة تامة من كل وجه في الحكم على اهل القرن الرابع في بغداد ولتبدل الحكم عليهم وناقضت أحكامه أحكام بعض من نقلوا تراجمهم كأنها حكم مسمط لا ينقض .

« للبحث صلة »

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الموازنة

بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٧ =

من المعلوم ان الشعر ليس هو ألفاظ مجموعة ، تُركّب على أوزان موضوعة وقوافٍ مصنوعة ، ولكنه صناعة كصناعة الاوتار والألحان ، لا تنال حظها في الأذان ، ما لم تستكمل شروطها من حسن التدرج والتنقل في الابراج بحيث لا يقع بينها تنافر او تناكر ، وان يكون النقر على الأوتار ، او النفخ في المزمار ، نسبياً اي موقعاً ومقطعاً توقيعاً وتقطيعاً يناسبان المقام ، فليست موسيقى الحرب وتحريك الشجاعة في نفوس الجند ، كموسيقى الصفو والهناء بين أحباب قد عكفوا على الراح ، وتبادلوا عتيقها بالطاسات والأقداح ، في روضة قد فُتحت أزهارها ، وترقرق ماء سواقيها وأنهارها ، كما ان حسن الصوت وحده لا يستلذّه السمع ، ما لم يصحبه احسان الصناعة في التلحين ، وهذا لا يستجمع شروط الاجادة ما لم يستكمل حسن اللفظ وفصاحة الالقاء واختيار الشعر العالي الذي يناسب مقام الغناء كما هو معلوم ، وبعد ذلك فاذا اجتمع هذا كله لمغنٍّ ، فخلط النهاوند بالسيكاه والعراق بالدوكاه والحجاز بالنوى والعجم بالرصد والصبا ، لاستنكرت الأذان غناءه ولو سمي ابراهيم او اسحق النديم .

فاذا كان هذا هو الشأن في فن الموسيقى او الغناء وركنهما حسن الصوت ، فما القول في الشعر وركنه الاول الخيال ؟

ومما تقدم ومما سيأتي ، يتضح لك ان الخلط في الالعوبة الآلهية هو عيب من افحش عيوبها ولا يعدّه حسنةً الا من قصر باعه في فن الشعر ، وقل بصره في فن النقد .

واذا تقرر ان الخيال أعظم أركان الشعر ، وان أعذب الخيال ما اجتمع فيه الحسن والجمال ، اذ كان فيهما سرور النفس وملاذها ، او تسلّيها وعزاؤها ، فأي سرور لها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في ذكر الوحوش والاحناش ووصف أشكالها القبيحة وشراسة افتراسها ونهشها الاجساد البشرية على ضروب لم تمرّ في بال عاقل ؟ واي تسلية او عزاء في وصف النيران والسموم ولواذع الجليد ونتن الرياح الهوج وتصوير أناسٍ قطع نصف جسمهم طولاً وبانت أمعاؤهم وقلوبهم وأكبادهم ، تسيل دماؤهم . وسواهم وقد كسيت أجسادهم ثياباً من القروح يكشطونها باظافر نارية ليلاً نهاراً ؟ الخ الخ .

لعمري ان هذا الباب من أبواب الشعر لم يخطر في مخيلة شاعر عربي ، ولا أحسبه يدخل في أبواب الشعر الاعجمية ، وحسبنا برهاناً على ذلك ان لأليذة المنسوبة الى هوميروس وهو المعدود باجماعهم شيخ شعراء الدنيا لم تُعَدّ في الطبقة الاولى من الشعر عندهم ، الا لما اشتملت عليه من وصف الوقائع الحربية وآلاتها ، ومآثر السلف واخبارهم في سلمهم وحروبهم ، وما يتداخل ذلك من مصارع الغرام ، واكرام الضيف الى مثلها من الحالات التي تكاد تلمس في وصفها حقيقة أحوالهم الفطرية .

وقل مثل ذلك في شعر فيرجيل وكله شعور لطيف واحساس مفنام في الرقة قد بلغ غاية التمام من الاحسان ، حتى لتكاد تشربه الاذان ولا تملّ من النظر اليه الأعيان .

فاذا عُلم هذا تفرع عنه ان التبويب شرط اساسي من شروط التأليف والانشاء لا في النثر فقط بل في الشعر ايضاً كما أشرنا الى ذلك في منهل الوراد[1] ولذلك عدوا ملحمة هوميروس في رأس الشعر عندهم لانها اشتملت على عموم حادثة تاريخية سرد فيها كل مايتعلق بتلك الحادثة وهي في الشعر من باب الشعر القصصي ، تنتقل فيها من واقعة الى واقعة ومن بلد الى بلد فتشهد الحوادث مصورة باللفظ وليس فيها للشاعر غير الرواية اي سبك الجمل واختيار الالفاظ وإجادة النظم وانسجامه اي خلوّه من التعقيد ، وتصوير المعاني في قوالب من اللفظ بحيث تتمثل أشخاص القصة للعيان وتحلّ أرواحها في ذلك البيان ، وتسيغ النظم في ذهن القاريء او السامع سوغ الماء الزلال في فم الظمآن .

---

(١) منهل الوراد في علم الانتقاد (كتاب) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقل مثل ذلك في شعر فيرجيل فانه لا يتباعد عن موضوعه الا بمقدار ما يلجئه التشبيه او الوصف ، بحيث لا يتيه ذهن المطالع في صحاري الاشارات والالغاز ، او يغرق في بحار من قواعد العلوم المختلفة والمسائل المتباينة كتسمية إلٰه النصارى بجوبيتر الٰه اليونانيين ، فيضل الغرض الاصلي وهو موضوع القصة .

ومن العيوب التي عدّها نقادو الافرنج على الشعر العربي ، ان الشاعر الجاهلي هو بطل روايته ، فلا يكاد يخرج عن نفسه ، وهو في ذلك على نقيض مما ذكرناه عن حسنات الياذة هوميروس ، ولعلهم في ذلك على هدىً ، فمابالهم تغاضوا عن عدّ هذا العيب الواضح في العوبة دانتي عليه ؟ فانه جعل نفسه بطل روايته الطويلة المملة واكثر فيها من مدح ذاته والمفاخرة بنظمها وهو مما عبناه نحن ايضاً على شاعرنا المتنبي وقد كان يفاخر مزاحميه عند سيف الدولة ملك حلب من شعراء عصره ولعل له عذراً في ذلك انه كان يحرص على تلك المنزلة الرفيعة وعلى ما كان يناله من صلات الملك المتناهية في الكرم ، ولم يكن دانتي في مثل تلك الحال عند مباهاته في غير موضعٍ من الالعوبة .

وقال المتنبي مفاخراً :

ما نال اهل الجاهلية كلُّهم شعري ولا سمعت بسحري بابلُ

وهو في شعره هذا ينطق بلغتهم ، وقد جاء بالرشيق من اللفظ والسهل الممتنع في الغزل والنسيب والمدح والوصف والقصة والحكمة والفخر بما لم يأت بمثله شاعر قبله ، اما دانتي فقد جاء بالالعوبة الالهية التي فاخر بهـا وعدها معجزة المعجزات ، وهي اول ما ينعى عليها انها لم تكن باللغة اللاتينية الفصحى لغة من تقدمه بل كانت يومئذ لغةً عامية لغة الاغاني وفيها من الكَشَفات ما نحن في نقده وتعداده ، وما يفرض على الناقد المنصف ان لا يغضي عليه ، ولسنا نرى وجهاً لتسامح الشراح والنقادين في تعييبه بما يعاب عليه سواه .

ومن عيوب الانشاء الفاضحة تكرار الالفاظ والمعاني ، وقد أجمع على ذلك علماء الفصاحة والبيان في اللغات الاعجمية كعلماء اللغة العربية وتشددوا في ذلك على الشعراء فوق تشددهم على الكتاب لما هو مطلوب في صناعة الشعر من البلاغة والجزالة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولاستقلال بيت الشعر بالمعنى ، وان تجاوزه فالى بيتين والعرب بمحاسن الشعر أبصر الامم بلا مدافع .

فالتكرار في أُلعوبة دانتي مما يملي بالسأم وهو غير قاصر على الالفاظ بل المعنى هو هو في كل أغنية من الاربع والثلاثين أغنية في جهنم ومثل ذلك في المطهر والسماء لا يختلف الا بوصف السرداب اوالدرج اوالقوس المنحنية اوالمضلعة او الوحش الناري الغريب او الشيطان ذي الرؤوس او الافواه المتعددة او اسم رجل مجهول من جيرانه او بعض معارفه وكم من ذلك ؟ او حادثة مكانية تافهة ، او قال لي ابي ، وقلت لابي وابي لي ، وانا لابي الى غير ذلك من الحقير المبرم المضجر .

ومن عيوبها الواضحة انها لم تتجرد عن السفليات ، ولم يظهر لنا صاحبها في مظهر من الاخلاص ، وانما هي مشبعة بالانانية ، فالخائن فيها مَن لا يرى رأي دانتي او من خالف مذهبه ، وعدو الوطن من قومه مَن لم يكن من حزبه ، وعدو الدين من لم يقل بقوله السياسي ولو كان مطراناً بل البابا نفسه ، وساقطو المروءة اولئك الذين لم يعاونوه على نيل مطامعه ، بل يتجاوز الى الطعن على أُمة باجمعها وشتمها لان ملكها لم يسعف مطلب اميره او حزبه ، كما شتم الامة الفرنسية في غير موضع من أُلعوبته ، وهو لا يأبى إغراء ملك غريب على اكتساح بلاده وإنزال أشد العقوبات باهل وطنه .

ومن عيوبها الاثيمة ذهاب صاحبها الى أبعد ما يتصوره الفكر الانساني من الحقد والضغينة وحب الانتقام ، فانه لم يكتف باغراء امبراطور المانيا على اكتساح بلاده وصب البلاء على اهل وطنه ، بل تتبعهم في جهنم ، ولم يرو غليله احتراقهم بتلك النيران وما كانوا يقاسونه من نهش الافاعي وضرب المقامع النارية على ما وصفها مما ترتعد الفرائص من ذكره ، بل كان يتلذذ بمشاهدتهم (او تصور مشاهدتهم) في تلك العذابات ، ويقول لأبالستهم زيدوهم حرقاً وتعذيباً ، بل يخاطبهم قائلاً ذوقوا لذائذ هذه الجحيم فانكم فيها خالدون .

ومن أشد عمى تعصبه انه يقذف في جهنم بكل من يمر في باله او تحت رأس قلمه من مخالفيه في الرأي او في الدين كما ذكرنا ، حتى انه يقذف بنبي دعا الوثنيين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهداهم الى عبـادة اله دانتي نفسه ، وليست دعواه بالنبوة دون دعاوي سواه من الانبياء .

بقي القول ان دانتي أراد ان يحول رسالة الغفران من رسالة دعاء كما فهمهـا من ظاهر لفظها العربي او من ترجمتها اللاتينية الى افكوهة شعرية اوأُلعوبة تمثيلية ولذلك دعاها بالالعوبة .

غير ان تسميتها بالالعوبة (Comedia) لا يعني انه وضعها كما وضع بعده شكسبير وموليـار وراسين وغيرهم العو باتهم للتشخيص في دور التمثيل والملاعب لان مراده منها ينافي هذا الغرض كل المنافاة لاسباب :

منها انها مما لايمكن تمثيلها في ليلة واحدة بل ولاليلتين وهذه الطريقة اي التشخيص المتتابع على عدة ليال او على ليلتين لتتميم حادثة التشخيص ليست مألوفة عند الفرنجـة وان كانت اليوم مألوفة عند اليابان .

ومنها ان كل ما صوّره في جحيمه ومطهره — وهو الجزء الاعظم من الالعوبة — مصوّر في الظلمات المدلهمات والرياح المنتنة وذلك مما يستحيل مشاهدته او تصويره بغير اللفظ ولا يمكن احتمال شمه في مكان محدود .

ومنهـا وهو الاهم ان دانتي لم يكن ليرضى بتمثيل الفردوس وأرواح القديسين والقديسات والملائكة ، بل الله ذاته ، على مسرح في ملعب ، وقد ذكرنا فرط تحمسه الديني غير مرة فيما تقدم .

« للكلام صلة » عضو المجمع العلمي

قسطاكي الحمصي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاستاذ الاب لويس شيخو

الناعت الآداب العربية لفقد احد كبار حفدتها ، والواقفين حياتهم على نصرتها ، صديقنا وعضو مجمعنا العلمي العربي الاستاذ المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي ، منشئ مجلة المشرق الغراء في بيروت ، وصاحب التآليف الكثيرة . ولد في الخامس من شهر شباط سنة ١٨٥٩ في ماردين من الجزيرة ، وجاء الشام يافعاً فاتصل بالآباء اليسوعيين ، ودرس في مدرستهم في غزير من جبل لبنان ، فدرس العلوم الدينية والمدنية والآداب العربية والفرنسية ، وتذوق غيرها من الآ ن الميتة والحية ، ثم انتظم في سلك الرهبانية اليسوعية ، متجرداً من متاعب الحياة ومتـ ت والأسرة ، عازفاً عن بهارج الدنيا ، مأخوذاً بما اخذ النفس به من خدمة الدين ر علم . ولم يلبث ان ظهرت أمارات أدبه وثمرات تربيته فعدّ مفخرة لمن انضم الى جملتهم وساعدوه فتنقل في فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا وغيرها من مراكز العلم في اوربا . فتهيأ له درس طريقة الغربيين في البحث والتأليف ، واطلع على مافي خزائنها من كتب العرب واستنسخ أمهاتها النادرة لحساب كلية بيروت اليسوعية . وحضر في اوقات مختلفة بعض المؤتمرات التي عقدها علماء المشرقيات في بلاد الغرب ، وساح كثيراً في أقطار الشرق .

انصرف الاستاذ لاول امره الى تعليم الآداب العربية في كلية القديس يوسف ، ونشر خلال ذلك عدة كتب مدرسية ودينية أهمها مجاني الادب في عشرة أجزاء ، استخرجها من كتب العرب وشرحها شروحاً لغوية أدبية وقد أصبحت معتمدة في المدارس الطائفية والتبشيرية في الشام وغير الشام ، ونشر مقالات علم الادب وكتاباً في الانشاء والعروض والخطابة . وأحيا بالطبع كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني وفقه اللغة للثعالبي بحذف الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة فلاحظ عليه العارفون ولا سيما علماء المشرقيات هذا العمل فاضطر الى الرجوع عن هذه الطريقة في الكتب التي أحياها بعدُ من أسفار السلف .

وأهم مانشر من كتب المتقدمين والمتأخرين كتاب الهمز وكتاب المطر للانصاري ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكتاب الكتاب لابن درستويه ، وتهذيب الألفاظ ومختصره لابن السكيت ، وحماسة البحتري ، وطبقات الامم لصاعد ، وديوان الخنساء ، وديوان ابي العتاهية ، وديوان الخرنق اخت طرفة ، وديوان السموءل ، وديوان المتلمس ، ورواية جديدة من كليلة ودمنة ، وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى ، وتاريخ شاكر بن الراهب القبطي ، وتاريخ سعيد بن بطريق وملحقه لسعيد بن يحيى الانطاكي ، وتاريخ محبوب المنبجي ، وفضائل الكلاب لابن المرزبان ، وآصف نامه ، ومقالة في الضوء لارسطو ، والآلات المنغمة لمورستس ، والآلات المزمرة لبني موسى ، والمكحلة لابي محمد الصقلي ، وشواعر العرب ومجموعة اربع رسائل لفلاسفة اليونان وغيرهم . يضاف الى ذلك عدة رسائل في الفلسفة والدين مما خلفه القدماء نشرها بالاشتراك مع بعض أفاضل الآباء من اهل رسالته . وقد خدم بهذه الكتب الآداب العربية أجل خدمة وزاد بها مجاميعنا المطبوعة وأحسن بما علق عليها من الفوائد وخدمها به من الشروح والحواشي .

ومما ألفه مباشرة « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » و « معرض الخطوط » و « شعراء النصرانية في الجاهلية » و « شعراء النصرانية بعد الاسلام » ورسائله وكتبه في تزييف الماسونية والحملة على رجالها وكتابه في المدارس العلمانية اللادينية وتاريخ الرهبانية اليسوعية وتاريخ الطائفة المارونية في القرنين السادس عشر والسابع عشر وبيروت وآثارها وتاريخها وغير ذلك من رسائله ومقالاته الدينية والأدبية في مجلة المشرق عدا خطبه الدينية ومواعظه الروحية . وقد كتب معظم مقالات مجلته مدة خمس وعشرين سنة ونشر فيها اولاً أمهات تآليفه ثم استخرجها منها وراعى في كتبه نظام رهبانيته فجاءت كتاباته الا قليلاً أشبه بكتب الدعايات المذهبية ، منها بكتب علمية مشتركة ، وهو معذور في مشربه لاعتقاده بان عمله هذا قربى الى ربه ، وما خالف قط طريقته الدينية الى مايسمونه الطريقة العلمانية ، ولذلك تستنشق ريح دينه في كل ما كتب ونشر . ولو خلت بعض أسفاره و بخاصة شعراء النصرانية قبل الاسلام وبعده ، والآداب العربية في القرن التاسع عشر وبعده ، من هذه النزعة لكانت في الغاية من جودة التأليف ، لكثرة مادته وحسن تنسيقه .

لم يرزق الفقيد ذوقاً عالياً في الأدب العربي ، وظلت كتابته الى أخريات ايامه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كما كانت لاول عهده نمطاً واحداً لا تتناسب مع مقدرته على التأليف ووقوفه على أدب العرب والافرنج وعلوم العصر . اي ان الانشاء العربي لم يسلس له قياده على ما كان يجب . وغريب ممن عاش بين كتب الفصحاء من العرب ان يظل بعد درس ستين سنة في الانشاء عند حد نظرياته ، على كثرة ما قرأ وكتب ، وان تبقى ملكته الاولى في الاداء تتناوشه أحياناً ، ولا يتطال الا الى الاخذ من الينبوع الذي استقى منه في مدرسته الاولى ، ولعلّ كثرة دراسته للغة الفرنسية وغيرها من لغات الاجانب أدخل الضعف على ملكته العربية . وهكذا يقال في ذوقه في الشعر فقد نشر في مجلته قصائد لادعياء القريض ، كان الاولى ان تطوى على غرّها ، والف كتاب «اطرب الشعر وأطرب النثر» مجموعاً من أدب من حاول تخليد ذكرهم ، على حين تراهم فيما يخطون أحط مما ينظم او يكتب اليوم تلاميذ المدارس في مصر والشام . وما ندري ان كان يقصد من ذلك التنويه بمن نوه بهم فقط او انه مقتنع بان شعرهم ونثرهم حقيقة أطرب الشعر والنثر ، يجب تخليده وتأبيده في بطون الصحف ، حرصاً على بلاغته وفصاحته .

وقضت عليه الصنعة او البيئة على ما يظهر ان يغمط حق العرب في مدنيتهم وكان على الاغلب ينظر اليها من الوجه الذي لا يستحسن ، ولذا يعد شعوبياً وشديد الشعوبية بافكاره وتصريحاته ، لا صلة بينه وبين العرب الا بما نشره من آثار علمهم وحذق من آداب لسانهم . وآخر أثر له من هذا القبيل انه ذكر جملة من ادباء المسلمين — وهو مولع في التفريق بين المسلمين والمسيحيين — في الربع الاول من القرن العشرين لم يتجاوز في عدهم العشرات في الامة العربية مع ان من وضعوا المصنفات والتآليف ولهم مكانة في الشعر والادب لعهدنا هذا لا يقلون عن ثلاثمائة رجل اعتذر بجهله اسماءهم مع ان من اشتهرت بين قراء العربية مصنفاتهم وفيها الممتع لا يصعب السؤال عنهم و يستغرب ان لا يطلع مثله على أعمالهم .

و بالنظر الى إكثار مترجمنا من التأليف والنشر قد يضطر في الاحايين الى العجلة فيدوّن ما يعرض له بادئ الرأي فيجيء خداجاً . ولو كان المفروض عليه عمله أقل مما كان ، وكان له من الوقت ما تنضج به موضوعاته ، لعدت كتبه كلها سلسلة جميلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من البحث والدرس شاهدة على الايام بفضله وجده . ومع هـذا قلّ من يسامية في المتأخرين بكثرة التواليف وتنوع الموضوعات التي عالجها فعدّ في المؤلفين من المكثرين . لاجرم انه مثال المجد العامل ليله ونهاره على نشر العلم والادب على طريقة خاصة لا يعتقد في غيرها الخير ، ولا يحفل اذا وافقت الغرض الذي نذر له نفسه أخطأ ام اصاب . وندر مثله في المعاصرين من مؤلفي العرب الذين جمعوا الى العلوم الدنيوية علوم الدين ومزج الطريقتين وخدمهما كلتيهما بحسب رأيه واجتهاده ، ونظر الى ما عداهما شزراً لم يعره عند الحاجة الا نظر التقزز والكراهيـة لا نظر عطف وفضل ثقة . وصرف شطراً من حياته وهو واقف بالمرصاد لا تأخذه هوادة في رد الشبه التي ترد على النصرانية ولا سيما مذهب الروم الملكيين ، ونقد ما يرى انه يمس روحه وجوهره ، وتدوين كل نافع وتافه من آثار لبنان وسكانه من الموارنة والكاثوليك فقط .

كان الاب شيخو مثال الراهب المتبتل المتمسك بدينـه الداعي اليه ، الذاب عن حياضه ، مثالاً واي مثال في جده ودؤوبه ، جمع من مخطوطات الشام والعراق والعجم والهند مجموعة من الكتب العربية والسريانية والفارسية والتركية ، واخذ بالتصوير الشمسي عن نوادر الكتب المحفوظة في خزائن الغرب ، مئات من المجلدات جعلها في خزانة كلية القديس يوسف في بيروت ودوّن لخزانتهـا الشرقية فهارس ، ووصف الكتب العربية وصف عالم عارف بالعربيـة والفرنسية ، وساعدته على إظهار فضله رهبانيتـه المنظمة القوية ، ومطبعتها المتقنة التي طبعت له كل ما أراد ، فجاءت جريدة كتبـه وما أحياه من تراث الأقدمين وافرة العدد ، دالة على فضل علم ووفرة حزم وعزم .

والحق نقول انه صاحب القدح المعلى بين رجال رهبانيته من ابناء العرب ، اخذ بايدي تلاميذه وقرائه في السبيل التي اعتقد فيها الخلاص فأشربهم حب الدين وعلمهم من علوم الدنيا . وقد اشتهر بتآليفه بين قراء العربية في الشرق والغرب ، ومن الناس من يقتنون كتبه لجمال طبعها وتنسيقها ، وسرعة الوصول الى الاخذ منها ، لانه حذا حذو المستعربين من الغربيين في طريقتهم يوم نشر التآليف القديمة والحديثة .

ويعد الفقيد في الدرجة الاولى بين طبقات الرجال الذين اثروا في الافكار ونشلوا طائفتهم من مخالب الجهالة ، واعلوا في البلاد كلمتها ، ولذلك عظمت الرزية به على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جامعته وجماعته وجميته خاصة والادب عامة . هذا الى ما كان عليه من لطف ووداعة وحرص على افادة قاصديه والمستنيرين برأيه في معضلاتهم . رحمه الله ، وعامله بعفوه ورضاه

محمد كرد علي

آراء وافكار

تعاليق رحلة العطار

من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة رحلة صغيرة يُؤخذ من بعض ما فيها انها لرجل دمشقي شد رحاله من بيت المقدس الى القسطنطينية عاصمة المملكة العثمانية اذ ذاك في ٢ صفر سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م فهبط مدينة الرملة ثم ثغر يافا ومنه أقلع بسفينة شراعية الى عكا ثم استأنف السفر بطريق البر الى صيدا ومنها أقلع الى ميناء طرابلس الشام وسافر منها مجتازاً بجبلة وغيرها من الشواطئ بسفينة كانت تقل اثقال كرجي محمد باشا والي صيدا واتباعه حين وجهت له الدولة العلية منصب ولاية قونية وكان امرهم ان يخرجوا من محل اسمه قراطاش [1] وان يتوجهوا منه الى آذنة و ينتظروه بها فكان معهم في الحلّ والترحال الى ان وافوا آذنة ومنها سافر بصحبة قافلة امين الصرة الذي كان يرافق ركب الحج الشامي في سنة ١١٧٨ هـ ١٧٦٤ م الى العاصمة بطريق البر حتى وصل اليها بعد ان اجتاز بمدينة قونية وغيرها وكان وصوله الى القسطنطينية في غرة شهر ربيع الاول سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٥ م .

« التعريف بصاحب الرحلة »

يظهر من هذه الرحلة التي بخط كاتبها والتي لم تكتب بقصد الافادة انها من نوع

(١) في قاموس الاعلام لشمس الدين سامي الالباني جزء ٥ صفحة ٣٦٣٤ ماتعريبه : قراطاش رأس في ساحل ولاية آذنة غربي مدخل خليج اسكندرون بين جدولي نهر جيحان عند مصبه في البحر والمظنون انه كان قبلاً جزيرة فاتصلت بالبابسة بما جرفه اليها مجرى النهر من الأتربة والحجارة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المفكرات التي تدوّن باختصار دون بحث واستقصاء ولم نعلم اسم كاتبها الا اننا استدللنا ببيت من الشعر له قال فيه انه الشامي العطار وعلمنا من حديثه انه كان في دمشق يحترف التجارة وانه جاء بيت المقدس مرة بعد أخرى لهذا الغرض . وفهمنا من تعليق له في بعض صحف الرحلة انه حفيد او سبط السيد الشيخ محمد العطار المتوفى في شعبان سنة ١١٧٦ هـ ١٧٦٢ م ولكننا لم نعدم وسيلة للتعرف اليه مما كتبه بنفسه . فقد ذكر لنا في أواخر رحلته اسم الشيخ عبدالوهاب خادم الشيخ عبدالغني النابلسي الذي كان يقيم في مدرسة چورلبلي علي باشا[1] وقد ترجم السيد محمد خليل المرادي المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م للشيخ عبد الوهاب هذا وقال ان ابناء دمشق كانوا يجتمعون عنده على مذاكرة ومداعبة وجاء في سياق ذلك على ذكر الفاضل الاديب السيد محمد العطار الدمشقي بمناسبة لغز كتبه هذا وارسله الى الشيخ ابراهيم الحلبي[2] فأجابه عبد الوهاب بقصيدة جاء فيها :

(ولا عجب اذ أنت في الفضل سيدٌ كجدّك ذي التحقيق في الشرق والغرب)
(أتيت بلاد الروم ضيفاً وطارقاً من الشام من ارض مقدسة الترب)

وقد نقلنا عبارة الكاتب الذي لا نشك بعد هذا في انه محمد العطار في آخر هذا البحث لعلاقته في الموضوع .

ولم يذكر السيد محمد العطار جدّ الكاتب بين تراجم المرادي بل ان الذي ترجم

---

(١) علي باشا الچورلبلي من الوزراء الذين ارتقوا مسند الصدارة في القرن الثاني عشر وبعد احرازها صاهر السلطان مصطفى فتزوج من ابنته سنة ١١١٨ هـ ١٧٠٦ م وبعد ان ظل فيها اربع سنين يدير امور الدولة على أحسن ما يكون وشى به بعض من لاخلاق لهم فأقيل وأمر بالخروج الى جزيرة مدللي «متلين» من جزائر البحر المتوسط وقُتل عند قدومه اليها وله في القسطنطينية عدة جوامع ومدارس ومعاهد ودور كتب وغيرها من الخيرات والمبرات الخالدة وترجمته في قاموس الاعلام جزء ٣ صفحة ١٨٨٦ .

(٢) ترجمته في سلك الدرر « ج ١ ص ٣٧ » وفيها انه توفي سنة ١١٩٠ هـ ١٧٧٦ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

له وذكره في كتاب سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر هو الشيخ محمد بن عبيد ابن عبد الله بن عسكر القاري الاصل الدمشقي الشهير بالعطار المتوفى سنة ١١٥٧ هـ ١٧٤٤ م [١] .

وقد قصد الكاتب الى عاصمة الملك ليرفع عقيرته بالشكوى على قاضي بيت المقدس الذي لم ينصفه على شريكه النابلسي الذي لم يذكر اسمه ايضاً بل مالأه عليه ولم يصل بنا في رحلته الى ما تم معه لانه وقف فيها في العاصمة او ان بعض اوراقها سقطت فسقطت معها اخباره .

والذي اهمنا من امر الرحلة هو بعض ما فيها من التعاليق التاريخية التي قد تفيد معرفتها فنقلناها فيما يلي :

(١) انتقل الى رحمة الله تعالى السيد الشيخ محمد العطار جد الفقير في ٣ شعبان سنة ١١٧٦ [٢] .

(٢) في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٠٨ [٣] حضر عندي من اخبرني ان من البدع التي حدثت في هذه الايام انه صار على كل مولود ذكر يولد خمسين فضة وعلى البنت خمسين وانه صار على الجاموس على كل رأس عشرة قروش في السنة وعلى البقر خمسة قروش تؤخذ في كل سنة .

(٣) تاريخ وفاة علامة زمانه وزاهدهم الملا الياس . ومات الياس التقي الزاهد وفي ثبت شيخنا المنيني ان وفاته كانت بعد صلاة عصر الاربعاء لاربع عشرة ليلة بقين من شعبان سنة ١١٣٨ [٤] .

(٤) وفاة شيخنا بل شيخ الدنيا سيدي عبد الغني في اواخر شعبان سنة ١١٤٣ هـ

---

(١) سلك الدرر جزء ٤ صفحة ٦١ . (٢) سنة ١١٧٦ هـ يقابلها سنة ١٧٦٣ م .
(٣) سنة ١٢٠٨ هـ يقابلها سنة ١٧٩٤ م . (٤) لعله الياس بن ابراهيم بن داود بن خضر الكردي نزيل دمشق الذي ترجم له المرادي في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر « ج ١ ص ٢٧٢ » وقال انه توفي ليلة الثلاثاء في ١٦ شعبان سنة ١١٣٨ هـ ١٧٢٦ م وقد قارب المئة او جاوزها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن ثلاث وتسعين سنة قدس سره ولشيخنا ومحبنا عبد الرحمن الشهير بالبهلول التركماني وكان حضرة الشيخ سماه قيم الأبد قصيدة طويلة في رثاء الشيخ ارّخ فيها وفاته بتاريخين في بيت وهو :

(قد أصبنا بشمس هدى التجلّي أوحد القوم قطب هذا الزمان[1])

(٥) توفي الشيخ عبد الرحمن المجلد سنة ١١٤٤ عن اكثر من مئة سنة ودفن بمرج الدحداح[2] .

(٦) الشيخ محمد الخليلي دخل دمشق عام ١١٢٩ ومات في بيت المقدس ودفن لصيق داره في المدرسة القايتبكية من خارجها وهي لصيق الحرم سنة ١١٤٨[3]

(١) تُرجم للشيخ عبد الغني النابلسي في سلك الدرر « ج ٣ ص ٣٠ » وذكر بان وفاته كانت عصر يوم الأحد في ٢٤ شعبان سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣١ م . اما عبدالرحمن البهلول ولم نجد في نسبته التركماني بل قيل النحلاوي فقد توفي سنة ١١٦٣ هـ ١٧٥٠ م على ما ذكره المرادي في سلك الدرر « ج ٢ ص ٣١٠ » وقال ان له قصيدة في مدح الشيخ عبد الغني مؤلفة من تسعة وثمانين بيتاً احتوى كل بيت منها على تاريخين وذلك سنة ١١٣٦ هـ ١٧٢٣ م . (٢) تُرجم له في سلك الدرر « ج ٢ ص ٣٢٧ » وذكرت وفاته ليلة الجمعة ٢٤ جمادي الآخرة سنة ١١٤٠ هـ ١٧٢٨ م وبين التاريخين فرق كبير قدره اربع سنوات فلعلها سقطت من السلك اثناء النسخ او الطبع . (٣) ترجم له المرادي « ج ٤ ص ٩٥ » وقال ان وفاته كانت سنة ١١٤٧ هـ ١٧٣٤ م ودفن في المدرسة البلدية قلنا وهذه المدرسة كان أنشأها نائب السلطنة بالمملكة الحلبية منكلي بغا وهي اليوم دار لآل الخليلي وفيها مكتبتهم وتقع شمالي المدرسة الاشرفية التي بناها السلطان الملك الاشرف قايتباي التي يكتبها بعضهم وقليل ماهم قايت بك او قايد بك وقد رأيت ان صاحب التعاليق كتبها القائتبكية . اما مكتبة آل الخليلي ففيها الكتب الخطية النادرة وقد كان احد رجالاتهم بنى لها غرفة خاصة بجوار قبة الصخرة قبل اربعين عاماً لينقلها اليها و يقفها على طلاب العلم ففاجأته المنية قبل اتمام العمل فبقيت المكتبة مكانها تنأ كلها الرطوبة وتقرضها الارضة كأكثر خزائن الكتب الخاصة في هذا الشرق التعس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« وعام ١١٢٩ هـ يقابله ١٧١٦ م و١١٤٨ هـ يقابله ١٧٣٥ م » .

(٧) وفاة سيدي عبد الله بن سالم البصري شيخ شيوخنا بمكة عام ١١٣٤ [١] « يقابله عام ١٧٢١ م » .

(٨) وفاة شيخ شيوخنا احمد النخلي قدس سره بمكة سنة ١١٣٠ عن نحو تسعين سنة وهو احمد بن محمد بن احمد بن علي [٢] « وسنة ١١٣٠ هـ يقابلها سنة ١٧١٧ م » .

(٩) وفاة شيخنا صاحب المواهب الجزيلة سيدي محمد بن احمد بن سعيد عقيلة بمكة سنة ١١٥٠ [٣] « يقابلها سنة ١٧٣٧ م » .

وجاء في اصل الرحلة — وهو ما اشرنا اليه في اول الكلام لاثبات ان الرحلة لمحمد العطار الدمشقي — وصف لزلزال القسطنطينية الذي حدث في ١٣ ذي الحجة « لعله في سنة ١١٧٩ المذكورة » في الساعة العاشرة والدقيقة عشرين بعد طلوع الشمس و يقول عنه انه كان عظيماً ومخوفاً وشديداً « قال و كنت تلك الليلة عند اخينا الشيخ محمد جار الله زاده في خان تجاه خان الوالدة فخرجنا جميعاً من الغرفة وخرج الناس من اماكنهم يستغيثون الى ان سكنت فتوجهت انا واياه ومعنا الشيخ خليل الضرير التر ياقي فحالما صرنا في السوق رأينا الهدم والخراب شيئاً يعسر معه الذهاب فتذكرنا اخينا الشيخ عبد الوهاب في مدرسة علي باشا [٤] فسرنا اليه واذنا للشيخ خليل بالرجوع فلما وصلنا المدرسة رأينا قد هدم اكثرها وسقط من أبنيتها على أناس فماتوا بها فدخلنا الى الشيخ عبد الوهاب فرأيناه في الغرفة ماقيّ وقد كان خرج ليفرّ فسقط عليه بعض الهدم فكسر رجله وهو في حالة شديدة فحملناه لرجل وحمل رجل آخر متاعه واخذناه الى غرفة الشيخ خليل التر ياقي ثم مرنا ننظر ما حصل من

(١) لم يترجم المرادي له في سلك الدرر بل ذكره في ترجمة عيد النمرمي « ج٣ ص ٢٧٣ » وفي ترجمة ابراهيم بن مصطفى الحلبي « ج ١ ص٣٨ » ولم يعين تاريخ وفاته

(٢) ترجم له المرادي وقال انه توفي اوائل السنة المذكورة « ج ١ ص ١٧١ » .

(٣) ترجم له المرادي في سلك الدرر « ج ٤ ص ٣٠ » .

(٤) هي مدرسة چورليلي علي باشا التي مر ذكرها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الهدم فوجدناه كثيراً لا يمكن حصره وحاصله ان اكثر ابنية اسلامبول التي بنيت من الحجر سقطت مع سقوط أبنية قليلة من الخشب واما المنارات فقد سقطت الا القليل منها ثم صارت الزلزلة تتكرر ساعة بعد أخرى ويوماً بعد يوم ولكن امرها يتلطف حتى صارت في كل عشرة ايام مرة وربما لا تدرك فأمن الناس وجلسوا في اماكنهم الى نهار الثلاثاء ٢٨ صفر في الساعة الخامسة فحصلت زلزلة أخرى بمقدار الاولى زماناً ولكنها أخف حركة فسقط كذلك بها أبنية كثيرة وسقط اكثر ما كان بني من هدم الاولى وصار بها هلاك كثير ثم بعد ايام يسيرة وردت الأخبار من جهات ارض الروم بهدم وخسف كثير حتى سمعنا ان في بعض الأماكن ارتجت الارض وخسفت باهلها وخرج محلها ماء اسود منتن وصارت الزلزلة تتكرر كثيراً في كل يوم وليلة حتى انه كان ليلة الاثنين اثنا عشر شهر ربيع الاول وكان من عادة آل عثمان ان يصنعوا مولداً للنبي صلى الله عليه وسلم في جامع السلطان احمد فشاع ان في نهار الاثنين يحصل زلزلة عظيمة فأخروا المولد الى نهار الثلاثاء وعملوه في جامع الوالدة برأي شيخ الاسلام ولم يحصل بحمد الله نهار الاثنين شيء ثم في ساعة اجتماعهم نهار الثلاثاء في الجامع حصل حركة خفيفة لم يدركها اكثر الناس » .

وممن اجتمع بهم وذكرهم في رحلته الحاج عبد اللطيف نقيب الاشراف [1] وبدرالدين بن جماعة مفتي الديار القدسية ورئيس خطبائها وامام الصخرة [2] واحمد ابن احمد الموقت [3] والشيخ محمد التافلاتي [4] في بيت المقدس والشيخ محيي الدين

(١) هو عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد القادر الحنفي القدمي وترجمته في سلك الدرر « ج٣ ص ١٣٢ » وفيها انه توفي سنة ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م .

(٢) هو بدرالدين بن محمد بن بدرالدين بن جماعة الكناني الحنفي القدمي وترجمته في السلك « ج٢ ص ٢ » وتوفي سنة ١١٨٧ هـ ١٧٧٣ م . (٣) جاء في ترجمة والده احمد في السلك « ج ١ ص ١٧٥ » ان ابنه هذا كان من اعيان القدس وتوفي سنة ١١٨٦ هـ . (٤) هو محمد بن محمد الطيب المالكي الحنفي التافلاتي المغربي مفتي القدس وترجمته في السلك « ج٤ ص ١٠٢ » وتوفي سنة ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخيري مفتي الرملة [١] والحاج مصطفى النجار من أجواد التجار ببافا [٢] والشيخ ضاهر العمر الزيداني شيخ عكا [٣] والشيخ صادق المفتي بعكا [٤] والشيخ عبدالمحسن السعدي الدمشقي في صيدا [٥] والسيد عبدالقادر نقيب الاشراف في طرابلس الشام [٦] وحسين افندي مفتي آذنة [٧] والسيد عبداللطيف [٨] وبدر علي اغا [٩] والسيد حسين القواس الدمشقي [١٠] والشيخ عبد الوهاب خادم الشيخ عبد للغني النابلسي بمدرسة الشورلي

(١و٢) لم يترجم لهما المرادي ولعل وفاتهما تأخرت عن القرن الثاني عشر .

(٣) ترجم له المرادي في السلك وسماه عمر بن صالح الملقب بالظاهر ج٣ ص١٨٤ وقال بوفاته سنة ١١٩٠ هـ ١٧٧٦ م وفي هذه التسمية خطأ فان اسمه ضاهر بن عمر الزيداني وان كان اكثر المؤرخين على انه ظاهر بن عمر وكذلك ذكر في حجة شرعية صادرة من محكمة عكا بتاريخ ١٣ جمادى الاولى سنة ١١٧٣ هـ ١٧٦٠ م وبذيلها « وشهد الشيخ ظاهر بن عمر » . ولكن الرجل نفسه كان يوقع على كتبه بخط يده «ضاهر عمر» وفي ديرالكرمل بحيفا كتاب منه أرسله الى رئيسه بتاريخ ٥ ربيع اول سنة ١١٨١ هـ ١٧٦٧ م وقع عليه كذلك . وفي مجموعة منسوبة الى ميخائيل الصباغ المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ ١٨١٦ م — وهو حفيد ابراهيم الصباغ طبيب الضاهر ومستشاره الذي اورده مورد الهلاك — موجودة في خزانة كتب أسقفية الروم الكاثوليك في عكا ذكر اسمه الضاهر اما صالح الذي اعتبره المرادي والد الضاهر فهو احد اولاده .

(٤) لعله صادق بن مصطفى بن عبدالمحسن بن احمد بن محمد بن بطحيش الحنفي العكي مفتي عكا المترجم له في السلك ج٢ ص١٩٢ وفيها انه توفي سنة ١١٨٠ هـ ١٧٦٦ م .

(٥و٦و٧) لم يترجم المرادي في السلك لهؤلاء الثلاثة ولعل وفاتهم تأخرت عن القرن الثاني عشر وكذلك لم نجد ترجمة حسين افندي مفتي آذنة في قاموس الاعلام .

(٨) لعله السيد عبد اللطيف بن فتح الله المعروف بالكيلاني الحنفي الحلبي نزيل القسطنطينية واحد المدرسين بها الذي ترجم له المرادي في السلك ج ٣ ص ١٣٢ توفي ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م .

(٩و١٠) لم يترجم لهما في السلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

علي باشا [١١] والشيخ محمد جار الله [١٢] والشيخ خليل التر ياقي الضرير [١٣] في القسطنطينية .

عضو المجمع العلمي العربي

عبد الله مخلص

(١١) ترجم المرادي في السلك ج ٣ ص ١٤٤ للشيخ عبد الوهاب بن مصطفى بن ابراهيم بن محمد الحنفي الدمشقي المشتهر بتلميذ الشيخ عبد الغني النابلسي وذكر انه كان مقيماً في مدرسة علي باشا المعروف بالجورلي وفي الهامش جورليلي وهو الصواب وقال عنه انه توفي سنة ١١٨٩ هـ ١٧٧٥ م .

(١٢) لعله السيد محمد بن عبد الرحيم ابي اللطف المقدسي الذي ترجم له المرادي في السلك ج ٤ ص ٥٢ وص ٥٨ وفي الترجمتين لم يذكر تاريخ وفاته لانه لم يتحققه وابناء ابي اللطف ينتسبون الى جار الله ايضاً وهو لقبهم المعروف اليوم « راجع ما كتبناه عن ابي اللطف وابنائه في مجلة الزهراء بالقاهرة « م ٢ ص ٥٤٨ » .

(١٣) ليس له ترجمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطبوعات حديثة

تقويم العالم الاسلامي

« تأليف السيد لويز ماسنيون طبع في باريز طبعة ثانية سنة ١٩٢٥ »
« في نحو ٤٠٠ صفحة »

Annuaire du Monde Musulman. par M. L. Massignon. Sconde édition (1925) Paris Editions Ernest Leroux, 28, rue Bonaparte.

توسع المؤلف في هذه الطبعة الثانية من كتابه السنوي وزاد كلامه على بلاد الاسلام — احصاءاتها وتاريخها واجتماعياتها واقتصادياتها — تحقيقاً وإمتاعاً. وتعرض لكل بلد فيه ولوحفنة من المسلمين وعرض لاحوالهم ومنازعهم وكل مايفيد القارئ باللغة الفرنسية ورأى ان عدد المسلمين ربما تجاوز في الوقت الحاضر المائتين والاربعين مليوناً. ونحن لانزال على رأينا في ان في هذا العدد نظراً، لان المؤلف يستند فقط على الاحصاءات الرسمية والاحصاءات على الاكثر يفوتها العدد الحقيقي. وهذه مصر وهي في الغاية من النظام كانت في احصائها الاخير اربعة عشر مليوناً ونحو ربع مليون مع ان جميع من ذاكرناهم في ذلك قالوا انه دون الحقيقة لان البدو هناك يتشاءمون من الاحصاء وربما لم يسجل نصفهم وهم يبلغون نحو مليون ونصف وكذلك الفلاحون لا بد ان يكتم كل رب عائلة ولداً او ولدين من ابنائه وعلى هذا فتكون مصر اليوم على التحقيق نحو ستة عشر مليون نسمة مع ان المؤلف لم يسجل لها سوى احد عشر مليوناً.

وفي هذه الطبعة فصل جميل ذكر فيه المؤلف جريدة باسماء مراكز الدروس اللغوية والتهذيبية الخاصة بالشعوب الاسلامية مشفوعة باسماء المشاهير من المشتغلين بها، فكان عددها في اوربا واميركا اكثر من عددها في مهد الاسلام آسيا وافريقية وعدد المراكز التي تقام فيها أسواق الدروس الاسلامية ٢٠ في الهند و٢٣ في المانيا و١٧ في انكلترا و٨ في فرنسا عدا المستعمرات و٨ في الولايات المتحدة الى آخر ماذكره وعدد المراكز كلها ١٥٥ مركزاً في القارات الخمس فلمؤلف الكتاب الشكر على عنايته. م. ك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في المرآة

(مختار المرايا التي نشرت في « السياسة الاسبوعية » وطائفة من القطع)
(الادبية الاخرى جرى بها قلم محرر المرآة)
الطبعة الاولى في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ص ١٩٥
سنة ١٣٤٥ هـ — ١٩٢٧ م

صدّر المؤلف كتابه هذا ببيت من الشعر لشاعر النيل حافظ ابراهيم وهو قوله :

تريك المرايا الخَلْقَ فيهن ماثلا وهذي تريك الخلق والنفس والطبعا

وقد حوى هذا الكتاب جماع مافي هذا السفر الممتع من المزايا ، وهو في تصوير ٢٩ رجلاً وامرأة من ارباب الشخصيات الكبرى في مصر ترجم لهم باسلوب جديد مزج فيه الجد بالهزل فأبدع ماشاء الابداع ، وأعطاه البيان العربي قياده ، فتنقل في فرائه بين السهل الممتع والصعب الممتنع ، باسلوب طريف قلّ من يستطيع من كتاب العصر ان يدانيه فيه ، صوّر مترجميه اولاً صورة هزلية بالريشة ، ثم صورهم بقلمه فوصف خَلقهم وخُلقهم ، وعلمهم وعملهم ، وأبرزهم في خلوتهم وجلوتهم ، كأنك تراهم بعينك وتسمع كلامهم باذنك ، بلسان كأنه لسان كتاب العهد العباسي الاول ممجوناً بروح العصر ومعرفة خفايا مصر . والكتاب جدير بكل اديب ان يقرأه بامعان فهو متحف أدب وأخلاق من الطراز الاول .

م . ك

رحلة الاندلس

« تأليف السيد محمد لبيب البتنوني طبع في مطبعة الكشكول سنة ١٩٢٧ »
« بمصر ص ١٦٧ »

مؤلف هذا السفر من المولعين بالسياحة من المصر بين دوّن بعض رحلاته ومنها رحلته البديعة الى الحجاز . وآخر رحلاته هذه الرحلة الاندلسية ذكر فيها وصف أمهات مدن الاندلس اليوم وشيئاً من تاريخها مشفوعاً بالعظة التاريخية التي تستخرج منها مزيناً برسوم آثارها الجميلة وقد اقتبس اشياء ممن رحلوا الى الاندلس قبله من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المعاصرين ، ومنها ما عزاه اليهم ومنهـا ما سكت عن نسبته لاصحابه ولعله لا يفوته ذلك في الطبعات التالية فان بركة العلم اسناده ونثني على همة الرحالة الاديب المفنن .

م . ك

مجموعة خطب

« محمد طلعت حرب بك »

طبعت في مطبعة مصر بالقاهرة سنة ١٩٢٧ ص ٢٥٦

صاحب هذه الخطب من اكبر علماء الاقتصاد والمالية في وادي النيل وهو صاحب الفكرة الاولى في انشاء مصرف مصر الذي بلغ في سبع سنين منزلة سامية بين المصارف وحفظ لمصر جزءاً من ثروتها . وهذه المجموعة هي مما ألقاه المؤلف في العهد الاخير في تعليم المصريين قيمة الاعمال المالية ، تفنن فيها ما شاء علمه واختصاصه . والكتاب مزين بصور جميع من أسسوا بنك مصر من رجال المال والاعمال ومحلى بغير ذلك من الصور .

م . ك

تاريخ اليمن

« المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، تأليف الشيخ »
« عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني ، طبع في المطبعة السلفية بمصر »
« سنة ١٣٤٦ ص ٤٠٠ »

طبع مؤلف هذا الكتاب عدة أسفار منها عجالات ألفها ، ومنهـا كتب لبعضهم نشرها ، وآخر مؤلفاته هذا السفر ، تكلم فيه عن اليمن وأئمتها ونقويمها وصنائعهـا ورجالها ومعادنها وتجارتهـا وما الى ذلك من أحوالها الاخيرة وسياستها ، واتبع كل ذلك بفهرس المواد ثم بفهرس أسماء المواضع والبلدان وأسماء الصحابة والتابعين ورجال هذا القرن . وقد استفدنا منه ان الامام يحيى ايده الله بنى سنة ١٣٤٤ مكتبة عظمى بالجامع الكبير بصنعاء وجمع لها من الكتب النفيسة من كل فن وجمع خزائن كتب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الوقف القديمة التي في صنعاء . وكنا نود لو يعرى هذا الكتاب النافع من القصائد المطولة التي ليست من جيد الشعر ولا تفيد التاريخ ، وان يقلل المؤلف من ذكر الكرامات مثل كرامات الامام يحيى بن حمزة من اهل القرن السابع (ص ٣٦) وقوله انه منذ دفن في ذمار فقدت منها الحيّات والهوام وان التراب الذي فوق قبره اذا وضع في محل لم يبق فيه حية ولا ثعبان الخ . فمثل هذه الامور تضعف الثقة بالكتاب . وللمؤلف الشكر على نشطته في خدمة الآداب .

م . ك

تاريخ مساجد بغداد وآثارها

« تأليف السيد محمود شكري الالوسي وتهذيب الشيخ محمد بهجة الاثري »

« طبع بمطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٣٤٦ بنفقة امين عالي بك العباسي »

« وزير الاوقاف ص ١٥٧ »

وهذا ايضاً من الكتب التي أخرجها للناس الاستاذ الاثري الذي عودنا منذ سنين ان يؤلف ويهذب كل نافع من كتب العلم والأدب ويبحث بحث المحقق المجيد . والكتاب كما عرف من اسمه في وصف المساجد رتبه مهذبه ترتيباً مقبولاً لان المؤلف العلامة الألوسي كان لا يتكلف في املاآته وتآليفه ، وقد علق تلميذه مهذب الكتاب تعاليق جميلة أبانت عن مقدرة في فهم تاريخ أمته واخلاص في تحديثها بحقائقه . وقد شفعه بفهارس للاعلام على عادته في معظم ما نشره ، فالشكر له على خدمه الخالصة للآداب والعلم .

م . ك

منتخبات التواريخ لدمشق (؟)

« للسيد محمد ادبب آل تقي الدين الحصني — الجزء الاول طبع في المطبعة »

« الحديثة بدمشق عام ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م ص ٤٠٠ »

دعا جامع هذا الكتاب كتابه في الصفحة الاولى « منتخبات التواريخ لدمشق » وفي المقدمة « غاية المرام في منتخبات تواريخ دمشق الشام » فلم يدر القارئ على اي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التسميتين بعتمد . والاولى ان يقال في الاول « منتخبات تواريخ دمشق » فيصح التركيب ويناسب الكتاب . كانت موضوعات هذا الجزء في اختصار الكتب والطباعة ومبدإ بناء دمشق وسكانها ودخولها في حوزة العرب وما تعاقب عليها الى ساعة طبع الكتاب واستطرد جامعه استطرادات تخرج عن التاريخ وذكر الأبدال والأبطال ! وكنا نود لو عزا صاحب الكتاب كل قول الى قائله ليكون سفره ادنى الى الثقة وأبعث على الطمأنينة .

م . ك

خلاصة احصاآت

« وزارة المعارف العامة »

أهدت الينا وزارة معارف الدولة السورية كراسة تتضمن خلاصة الاحصاآت المتعلقة بمدارسها و بسائر المدارس السورية لسنة ١٩٢٦—١٩٢٧ م الدرسية . وقد أدرنا طرفنا في جنبات تلك الاحصاآت فتبين لنا منها ان عدد الطلاب والطالبات المقيدين في المدارس الاميرية عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ المدرسي بلغ ٢٣١١٧ وهو يفوق عددهم في عام ١٩٢٥ — ١٩٢٦ الذي لم يتجاوز ٢١٧١٥ و يرجع السبب في ذلك الى زيادة عدد الاناث وشدة اقبالهن على الدرس في كل انحاء البلاد . وكان عدد الطالبات المسلمات عام ١٩٢٥ — ١٩٢٦ : ٣١١١ فبلغ في عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ٤٧٦٢ فتكون الزيادة ١٦٥١ طالبة وعلى ذلك القياس في سائر الطوائف غير المسلمة التي يتألف منها سواد الامة . وكان مجموع مدارس الذكور الاميرية عام ١٩٢٥ — ١٩٢٦ : ٢٤٤ مدرسة ومجموع مدارس الاناث ٦١ مدرسة فأصبح في عام ١٩٢٦— ١٩٢٧ ٢٥٠ مدرسة للذكور و٥٩ للاناث فتكون مدارس الذكور قد زادت ستاً ومدارس الاناث نقصت مدرستين وكان هذا النقص من نصيب لواء دمشق كما ان الزيادة في مدارس الذكور نتجت عن تأسيس خمس مدارس للحضانة في ولاية حلب .

و بلغ عدد المدارس الاهلية في المملكة عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ من حضانة بتدائية وتجهيزية ١٣٥ مدرسة منها ١٠٢ للذكور و٣٣ للاناث و بلغ مجموع طلابها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المقيدين ٣٩٢٩ طالباً من الذكور و٦٤٥٣ من الاناث . و بلغ مجموع معلمي المدارس الابتدائية العامة والخاصة في السنة المذكورة ٩٨٣ معلماً و٤٠٦ معلمات . وكان مجموع طلاب وطالبات الصفوف الثانوية في مدارس التجهيز والمعلمين والمعلمات ١١٣٠ طالباً وطالبة كما كان مجموع هيأة التعليم في المدارس المذكورة ٦٢ معلماً ومعلمة .

و بلغ طلاب فرعي الجامعة السورية (الحقوق والطب) في السنة المذكورة ٢٩٩ طالباً و١٢ طالبة منهم ١٨٦ في معهد الحقوق والباقي في شعب الطب المختلفة . ونال شهادة الجامعة في العام المذكور ٥٢ طالباً منهم ٣٤ من الحقوق والباقون من شعب الطب المختلفة . واوفدت وزارة المعارف الى فرنسا عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ المدرسي ثمانية طلاب للاختصاص في الفنون المختلفة . وأرسلت ايضاً طالبين الى بيروت للدخول في دار الهندسة . هذا عدا الطلاب الذين كانوا أرسلوا الى فرنسا في العام الماضي والذي قبله للتخصص في الآداب والفنون .

المغربي

الروائع

اسم سلسلة من الأبحاث الأدبية يصدر تباعاً بشكل مجلة لطيفة الحجم حسنة الشكل لصاحبها (فؤاد افرام البستاني) أستاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف في بيروت وطريقته في هذه السلسلة الأدبية انه يعمد الى أديب مشهور في العرب فيذكر موجزاً من ترجمته وشخصيته الأدبية ثم يخص بالذكر أشهر مصنفاته وآثاره المطبوعة فيحللها ويعلق عليها عند اللزوم . مثال ذلك : امير المؤمنين علي بن ابي طالب وكتابه نهج البلاغة . والمتنبيء وديوان أشعاره . وابن بطوطة وكتاب رحلته وهكذا . ويظهر للمتصفح لهذه الاجزاء ان المؤلف يرمي من وراء تأليفه الى غرض شريف الا وهو افادة الناشئة العربية الذين يصعب عليهم تناول هذه المباحث الأدبية من معادنها فهو يتناولها لهم ثم يناولهم إياها بحيث تعقلها فهومهم وتهضمها عقولهم ويكون لها الأثر البين في تربيتهم الادبية وما يكتبونه من المقالات والمحاضرات العلمية والتاريخية .

له

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتاب فلسفة ابن خلدون الاجتماعية

وضعه الدكتور طه حسين بالافرنسية في ختام درسه في جامعة السربون في باريس ليستحق إجازة الدكتوره فحازها سنة ١٩١٧ ، ونقله الى العربية المحامي محمد عبد الله عنان سنة ١٩٢٥ ، وفيها طبع بمطبعة الاعتماد بمصر في مئة وخمس وستين صفحة ، وقد أضيف اليه ترجمة رسالة (فون وسندُنك) عن الالمانية المسماة : (ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربي في القرن الرابع عشر) للمترجم ايضاً ، وهي رسالة قيمة في بضع عشرة صفحة .

للفيلسوف ابن خلدون وللاستاذ طه حسين من الشهرة ما يغني كلاً منهما عن التعريف ، وهذا الكتاب موضوعه تحليل ونقد لفلسفة ابن خلدون ؛ فهو إذن فلسفة فلسفة ، لذلك يكون المتوسع في الكلام عليه قد زاد السلسلة حلقة أخرى فجاء بفلسفة فلسفة الفلسفة ، وهذا يتجاوز شأن مجلتنا فيما تكتبه عما يهدى اليها من الكتب ، فنحن ندع ذلك الى ارباب هذا الشأن من مؤيدي مذهب ابن خلدون او نقادي مؤلفات الدكتور طه حسين الذين نثق بانه لا يفوتهم ، ونكتفي هنا بالألماع الى ان في هذا الكتاب انظاراً جديرة بالاعتناء ، ومباحث دقيقة لم يطرقها احد ممن تكلم عن ابن خلدون ، وهي مما اقتضاه مذهب الدكتور المعروف في الشكوك ، حتى ان في رسالة (وسندُنك) المارة الذكر ما يخالف نظر الدكتور .

وعلى كل للمؤلف الفضل في فتح هذا الباب ليلجه المحصون فيوفوا ابن خلدون حقه من تحليل ونقد هو بهما جدير لما له من الشأن الخطير .

عضو المجمع العلمي العربي

سعود الكواكبي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتاب الزراعة الجافة

« ترجمه ووضعه نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل يقع في ٢٦٨ صفحة »
« من القطع المتوسط »

الأرض اليابسة هي التي لا يمكن اسقاؤها والتي يهطل عليها في السنة مطر لا يزيد ارتفاعه على ٥٠٠ ميلمتر ولا ينقص عن ٢٥٠ ميلمتراً لانه اذا نقص عن ذلك المقدار تعذر استغلالها اقتصادياً بلا ري . وزراعة الارض اليابسة فن يبحث عن خزن أمطار السنة في الارض ، والاحتفاظ بهذه الأمطار ، ومنع انطلاق الماء من التراب على شكل بخار بقدر الإمكان ، ومص النبات المزروع للماء المختزن في جوف التراب وانفضاجه اي اخراج الماء نتحاً او عرقاً ، ثم انتقاء النباتات الصالحة للارض اليابسة وبيان طرائق زرعها الى غير ذلك من أبحاث زراعية وملحوظات مختصة بالبعل من الأرض التي لا ترويها أمطار كافية .

أشهر من ألفوا في هذه الأبحاث أستاذ اميركي يدعى (ودسو) وهو مدير مدرسة زراعية في احدى الولايات المتحدة الاميركية . وقد ترجم كتابه بالفرنسية ولدي نسخة من طبعة الترجمة الثانية طبعت سنة ١٩١٢ . وقد كنت لخصتها وأضفت اليها ملحوظاتي في بلاد الشام ودرّستها قبل تسع سنين في مدرسة الغوطة الزراعية ثم ذكرت موجزاً في هذا الفن في « كتاب الزراعة العملية الحديثة » المطبوع سنة ١٩٢٢ .

وما كان يجول في خلدي ان يقوم الاستاذ السيد نجيب نصار في سنة ١٩٢٧ وهو غير اخصائي بالزراعة فيترجم كتاب ودسو او بعضه لانه يستحيل على من لم يتعلم الفنون الزراعية وما يتعلق بها من العلوم ان يبرز لنا ترجمة مفيدة لكتاب كهذا ، والدليل على ذلك انني كنت أفتح بعض صفحاته بدون تعيين فأكاد ارى في كل منها أغلاطاً فنية اولغوية مثاله انه لم يفرق البرسيم (Trifolium Alexandrinum) من الفصفصة (Medicago sativa) (صفحة ١٦١) وانه جعل غاز الكربون مركباً من مواد نباتية وحيوانية ... (صفحة ٢٧) . وقد سمى نباتات الفصيلة القطانية (قرنية ، بقلية) خضراً (صفحة ١٦٣) فهل الحمص والعدس والكرسنة من الخضراوات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

او البقول ... ؟ ولم يهتد الى الاسماء التي اصطلح عليها أساتذة الزراعة في ترجمة كثير من الآلات فسمى المحراث ذا المقلب « محراثاً أعقف » والمحراث ذا الصفائح « محراثاً ذا دوائر » والمملسة او الملاّسة « مدحلة » ومعزق الخيل « محركاً » الخ . وتكلم على سنابل الشعير فسمي سفاها « شوارب ولحى ... » كما سمى عصافتها «غلفا» (صفحة ١٦٠) .

وقال في الصفحة (١٥) انه لا يوجد في البلاد العربية ومنها بلاد الشام مقاييس للمطر الا في بعض المدن وانه لايمكنه تعيين مقادير المطر في تلك البلاد عن علم حقيقي الخ .. ولو كان الاستاذ ممن يتتبعون هذه الامور لعلم انني أرصد الأحداث الجوية بدمشق منذ عشر سنين متتابعة وان لدينا في حكومة سورية منذ خمس سنين مقاييس للمطر في أهم الأقاليم الزراعية كحوران وسهل حمص وجبل الشومرية وسلمية وشاطيء الفرات وجبل الأحص الخ عدا ان لليسوعيين مرصداً شهيراً في البقاع وآخر في بيروت ناهيك بمرصد الاميركيين وان لليهود مقاييس للأمطار في اهم قراهم في فلسطين .

ولم أعلم لما ذا سمى كتابه « الزراعة الجافة » مع علمه بان الزراعة حرفة وان الحرفة لا تكون جافة او رطبة . وقد ترجم الفرنسيون لفظ (Dry - Farming) بقولهم (Culture des terres sèches) اي زراعة الارض اليابسة وهكذا كنت ترجمته . ولو اطلع على ما كنت كتبته وكتبه غيري في هذا الصدد لرأى ان اجدادنا العرب القدماء كانوا عليمين بكثير من قواعد هذا الفن كما يتضح من جمل كثيرة في كتاب ابن العوام الاشبيلي . وبعد ان للاستاذ السيد نجيب نصار فضلاً كبيراً ولكن في غير الفنون الزراعية فحبذا لو وقف كل امريء في التأليف عند حد اختصاصه .

عضو المجمع العلمي العربي

مصطفى الشهابي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتاب البقول

« لمؤلفه الامير مصطفى الشهابي »

ما برح زميلنا الامير مصطفى الشهابي يخدم زراعة البلاد العربية عامة والشامية خاصة باهدائها طريف الأبحاث التي تمس الحاجة اليها وليس عندنا ما يملأ فراغها . ففي سنة ١٩٢٢ أخرج (كتاب الزراعة العملية الحديثة) وفي سنة ١٩٢٣ رسالة (مسك الدفاتر الزراعية) وفي سنة ١٩٢٤ (كتاب الأشجار والانجم المثمرة) واليوم (كتاب البقول) الذي يبحث في زرع الخضر في أقاليم بلاد الشام ونظائرها . هذا عدا مقالاته الزراعية في (المقتطف) والزراعية اللغوية في (مجلة المجمع العلمي العربي) .

يذهب بعض من ليس لهم إلمام ببسائط الفنون الزراعية الى ان الكتب الزراعية الصادرة في مصر تفي بحاجتنا وتغنينا عن معاناة التأليف والنشر . وقد فاتهم ان لكل قطر أقاليم وأتربة وحاجات اقتصادية تختلف عما في غيره ولا مندوحة عن تنويع العمل الزراعي وتسييره حسب هذا الاختلاف . فالكتب الزراعية المصرية تحصر مباحثها بما يناسب إقليم وادي النيل وحاجاته وهي تبعد كل البعد عما يمكن إتيانه في بلاد الشام ذات الأقاليم والأتربة المتنوعة . ولذا لا يمكن للزراعين الشاميين ان يشفوا بالكتب المصرية غليلهم .

فصاحب (كتاب البقول) قد سد في مؤلفه هذا حاجة المشتغلين بزراعة الخضر في بلادنا فاستحق بذلك شكرهم كما شكره من قبل المشتغلون بالزراعة الواسعة ثم المرتزقون بتربية الأشجار وتصدير الثمار .

يقع (كتاب البقول) في ٢١٣ صفحة ويحتوي على ٤٦ شكلاً . ويتناول البحث في قسمه الاول (تعريف وتقسيم البقول وأشكال بساتين البقول واحداثها والآلات والادوات اللازمة لها والأتربة والأسمدة والمصلحات والاسقاء وكيفية تكاثر البقول) ، وفي قسمه الثاني خمسين بقلاً من البقول الثمرية كالباذنجان والبنادورى والبامية والفليفلة والخيار ... الخ والبقول الخضراء كالكراث والخرشوف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والسلق والاسباناخ والملفوف والقنبيط ... الخ والبقول العسقولية كالبطاطا والقلقاس والكرنب والشوندر والجزر واللفت ... الخ .

وهو يذكر في بحث كل بقل اصله وتحليته واءنافه الشامية والافرنجية وقليمه وتربته وزمن زرعه وطريقة الزرع وتعهده ومحصوله واستعماله . والكتاب مبوب تبويباً جيداً ، متقن الطبع ، حسن الرسوم والأشكال ، صحيح العبارة ، يدل على ما عانى واضعه من الجهد في تأليفه . فقد استعان باهم الكتب الفرنسية الباحثة في زرع الخضر ودوّن فيه اختباراته الشخصية . وانتقى من معاجم اللغة أصح الكلمات العربية لاسماء البقول المعروفة وتحرى منشأها فما وجده قديماً معروفاً لدى أسلافنا ذكره وعني بضبط الحركات في تلفظها وكتابتها فقال مثلاً : ان (اللوبياء) كانت تسمى التامر والدّجر والدِّجر و (الكزبرة) الكسبرة والنقرة وان (النعنع) يلفظ بضم النون الاولى والثانية وهو ايضاً النعناع بفتحها ، وان الباذنجان له بضعة اسماء عربية منها الأنب والحيصل والمغد والوغد . ونقل عن كتاب « شفاء الغليل » للخفاجي ان الملوخيا لم تكن معروفة قبلاً وانها حدثت بعد سنة ٣٦٠ من الهجرة وانها ذكرت للمعزّ باني القاهرة فأكلها واستلذها فسميت ملوكية فحرفتها العامة وقالت ملوخيا ... وسمى ما يسميه الفرنسيون (Légumes tubéreux) بقولاً عسقولية تبعاً للطبيب العالم امين المعلوف الذي استعار كلمة العسقول وهو الكمء للساق الجذري او العرق الذي يسمى (Tuber) وجمع مؤلف (كتاب البقول) تحت عنوان (البقول العسقولية) البطاطا والقلقاس والشوندر والجزر والكرنب والفجل واللفت والبصل والثوم .

ومما أعجبني استعماله كلمة (اتحاء) لما يسميه الفرنسيون (Culture intercalaire) فقال في (الصفحة ٦٩) : « ان من أصناف الخضرة ما يقحم بين نبتات أصناف أخرى كما يقحم فلاحو كفرسوسة (من قرى دمشق) صغار نبتات الملفوف بين نبتات التبغ الكبار » .

غير ان الكتاب مع غزارة مادته وجودة مباحثه لم يخل من بعض نواقص رأيت ان ألفت نظر المؤلف الفاضل اليها . فقد سها عن بحث (الاعمال التي تجري في البساتين) كالحرث وأنواعه لاسيما عملية «النقب» التي لها مكانتها الكبرى في البساتين وكالعزق والتمليس (الحدل) وإبادة الأعشاب وتخطيط المساكب . ولا يكفي ان يقال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

انه مر ذكرها في كتاب الزراعة العملية الحديثة . لان هذه الأعمال تختلف في البساتين عما هي عليه في الحقول اختلافاً بيناً يدعو المصنفين في زراعة الخضر الى بيانها وشرح طرائق القيام بها . وكنت أتمنى لو أضاف على أبحاث الكتاب نبذة عن (تجارة البقول) في بلاد الشام) ليطلع القراء — ولو تقريباً — على أنواع ومقادير البقول التي تصدر من هذه البلاد الى الاقطار المجاورة وما يرد اليها وعلى الطرائق التي يجب اتباعها لتزييد هذه التجارة وتوفير وارداها .

وقد جاء في (صفحة ٩) ان الأسرة في سلمية وحماة تستغل نحو ثلاثة هكتارات وفي بساتين المرج (مرج الغوطة) خمسة هكتارات او اكثر . وصحيحه ان فدان البساتين في سلمية وحماة ذو مساحة قدرها ثلاثة هكتارات تقسم بين أسرتين فيصيب الواحدة هكتار ونصف فقط . اما اهل (المرج) فلا نظن انهم يشتغلون بزراعة الخضر واحداث البساتين وهم لتوالي الحميات والوبالة عليهم ينوئون تحت اعباء المحاصيل الشتوية فما بالك بالخضر التي تحتاج الى تعهد وعناء وفيرين . وجاء في (صفحة ١٤) ان الاوربيين يغرسون حول البساتين لاتقاء الارياح صفوفاً من اشجار السرو او الصنوبر او الاوكاليبتوس . فاستعمال السرو لاجل الغاية التي ذكرها صحيح . اما استعمال الصنوبر والاوكاليبتوس فلم يسمع به . لان انواع الصنوبر كثيرة ليس منها ما تمتلئ سيقانه من تحت الى فوق باغصان مشتبكة تحجز الرياح كالسرو . والمعروف عن الاوكاليبتوس انه من اشد الاشجار شرهاً لجذب الرطوبة وتجفيف الاراضي المستنقعة فهو إذن مضر جداً ببساتين الخضر المحتاجة الى الرطوبة والري اكثر من جميع النباتات . وجاء في (ص٥٧) عند البحث عن طريقة (البذر نثراً باليد) ان البستاني (يمد يده الى الوراء وينثرها على شكل قوس دائرة ...) وعندي ان هذا الوصف ينطبق على بذر الحبوب كالحنطة والشعير في الحقول الواسعة لا على بزور الخضرة وجلها ذات حجم صغير ووزن خفيف ففي نثر بذور الخضرة لا يحتاج البستاني الى مد يده الى الوراء ولا الى تأليف قوس دائرة بل تراه منحنياً بعض الانحناء لا يبعد يده عن صدره الا قليلاً وهو يثابر رويداً رويداً على النثر من بين الإبهام والشاهدة على مساحة لا تتجاوز المتر او المترين في كل نثرة . وجاء في (ص٢٠٤) ان الأعشاب تقتلع من بين النبتات الحاصلة من زرع بزور البصل بالمنكاش بواسطة نساء يستأجرن لهذا الغرض .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وصحيحه ان هذه النبتات المعروفة في الديار الحموية باسم (الصمدة) تخرج متآصرة جداً كشعر الفرشاة لايمكن للمنكاش ان ينفذ بينها ويعمل عمله . وإذن لاننقى الاعشاب الا باليد . وجاء في (ص١٩٣) ان نبتات الشوندر تقتلع عندما يصير طولها نحو متر . وصحيحه ٠,٢٠ متر وهي هفوة مطبعية .

هذا والكتاب متبرع بالفوائد الجليلة و يعد من خير ماوضع في هذا الفن لخر يجي المدارس الزراعية وطلابها وللمشتغلين بزراعة الخضر وإحداث البساتين . مما يحملنا على تقدير العمل المجيد الذي قام به مؤلفه الفاضل و يدفعنا الى تهنئته ببروز هذه الحلقة من سلسلته الزراعية التي يخرجها الى عالم العربية بهذه الحلة القشيبة .

المهندس الزراعي

وصفي زكريا

كتب ورسائل مختلفة

(١) « مرقاة الترجمة » للصفوف العالية في اللغتين الفرنسية والعربية تأليف الأب يوسف علوان اللعازري (الجزآن الثالث والرابع) طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٧ ص ١٦٧ .

(٢) مرقاة الترجمة ايضاً للاب يوسف علوان اللعازري (الجزآن الثالث والرابع) كتاب المعلم طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٧ ص ١٩٢ .

(٣) التقرير السنوي عن سير المعارف بالعراق لسنة ١٩٢٦—١٩٢٧ طبع بمطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٩٢٧ ص ٣٦ .

(٤) « الروضة الطبية » لعبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع عني بتصحيحها القس بولس سباط طبعت بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٧ ص ٧٣ .

(٥) « الندى الهتان على منظومة روضة الاحسان في بيان مكي ومدني القرآن » لمؤلفه الشيخ محمد سعيد حسن السعيد اللاذقي طبع في المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٢٦ م ١٣٤٤ هـ ص ١٠٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٦) تقويم جامعة ادنبورغ عن سنة ١٩٢٧—١٩٢٨ طبع في ادنبورغ سنة ١٩٢٧
Edinburgh University Calendar 1927 - 1928

(٧) الفتيات قصة للسيد انور فوق العادة طبعت في مطبعة فتى العرب بدمشق (١٦ ص) .

(٨) روضة الناظر وجنة المناظر في اصول الفقه الحنبلي لموفق الدين ابي محمد عبد بن احمد بن قدامة المقدسي الدمشقي ، معها شرحها « نزهة الخاطر العاطر » للشيخ عبدالقادر بدران الدومي الدمشقي امر بطبعه جلالة الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٢ بالمطبعة السلفية الجزء الاول ص ٤٢٤ والجزء الثاني في ٤٨٠ ص .

(٩) نصوص عربية في اللغة العامية في وادي الشحرور نشرها بالفرنسية والعربية في المجلة الآسيوية الفرنسية المنسيور ميخائيل فغالي من اساتذة جامعة بوردو .

(١٠) جريدة مطبوعات مكتبة ومطبعة المعارف بمصر لسنة ١٩٢٧ — ١٩٢٨ طبعت بمطبعة المعارف .

(١١) بيان اعمال جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية التي تأسست سنة ١٢٩٦ هـ لعامها الثامن والاربعين طبع بمطبعة المصباح في بيروت ص ٥٤ .

(١٢) رسالة في اسماء الريح لابن خالويه النحوي نشرها السيد كراتشقوفسكي في ليننغراد .

(١٣) لماذا انا مسيحي « تأليف الدكتور فرانك كراين » عربه بتصرف قليل الارشمندريت انطونيوس بشير وعني بنشره السيد يوسف توما البستاني صاحب مكتبة الفجالة بمصر ص ٣٤٦ .

(١٤) نزهة الطرف في قراءة الكف تأليف السيد حنا اسعد فهمي تطلب من مكتبة العرب بمصر ص ٦٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net